٣٠٤١٤

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع — العدد الاول ١٣٩٥ — ١٩٧٥

التنظيم العسكري عند البويهيين في العراق وايران[1]

بقلم

سي • اي • بوزورث[2]

ترجمة وتعليق الدكتور

عبدالجبار ناجي

على الرغم من ان البروفسور ف. مينورسكي قد قام بمحاولات ضخمة من اجل ايجاد الرغبة في دراسة الفترة الديلمية من التاريخ الايراني ، فانه لا يمكن القول بان المستشرقين قد استجابوا بحماسة . ومما يبدو ان البعض منهم ما زال متاثرا بموقف المؤرخين المسلمين تجاه مختلف الامارات الديلمية التي حكمت في المناطق الوسطى من العالم الاسلامي خلال القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر (انظر مثلا انتقاد مينورسكي لاتجاه شبولر المعادي للديلم والمتعاطف مع الاتراك في عرضه لكتاب شبولر « ايران في العصور الاسلامية الاولى »

(1) "Iran in frlih-islamisher Zeit" in Göttingische Gelehrte Anzeigen, CCVII/3-4 [1953], 193—99).

فالكثير من هؤلاء المؤرخين المسلمين كتبوا في الوقت الذي كانت فيه محاولة الشيعة السياسية للحصول على السلطة في القرن العاشر قد فشلت او استكانت للعنف في المسائل في الاهمية المتمثل بالفدائيين الاسماعيليين(4). وموقفهم نحو البويهيين — وهم اكثر الامارات الديلمية شهرة — بناء على ذلك غير متحمس في احسن الاحوال ، حقيقة ان الجيل الاول للزعماء العسكريين الديالمة Condottieri وهم رجال امثال ليلى بن نعمان ، وماكان ابن كاكي ، واسفار بن شيرويه ، ومرداويج(5) بن زياد والاخوان البويهيين الثلاثة علي والحسن واحمد (الذين تلقبوا فيما بعد بعماد الدولة ، ركن الدولة ومعز الدولة) كانوا همجيين وجلبوا الدمار العنيف لغرب ايران والعراق بلاد الحضارة والثقافة القديمة ، وحقيقة ايضا ان البيت البويهي — في النصف الاول من القرن الحادي عشر — قد انحل الى عصابة متحاربة غير متميزة ، غير انه في النصف الثاني من القرن العاشر عندما بلغت سلطة البويهيين اوجها وعندما اتسعت بلادهم فامتدت من العراق وعمان الى حدود خراسان وبلوجستان كانت هناك فترات طويلة من السلام والرخاء في اقيام عصر الثقافة المشرقة في الفكر والادب العربيين ، وتكفي الملاحظة ان كتاب الاغاني وعضديات المتنبي قد كتبا تحت رعاية البويهيين ، وان علماء كبارا من امثال ابي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد قد

---

(1) نشرت هذه المقالة في مجلة Oriens ، مجلد ١٨ — ١٩ (١٩٦٥ — ١٩٦٦) من صحيفة ١٤٢ — ١٦٧ . « المترجم »

(2) استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة مانجستر ، له مؤلفات عديدة منها كتابه الموسوم بـ « امبراطورية الغزنويين في افغانستان وشرقي ايران » طبع سنة ١٩٦٣ . وكتاب « الدويلات الاسلامية » طبع سنة ١٩٦٧ ونشرت له مقالات عديدة في مجلات علمية مختلفة من خلالها تتضح معرفة المؤلف الواسعة واهتماماته الكبيرة بالدراسات الاسلامية ، وبصورة خاصة بالامور المتعلقة بجيوش عدد من الامارات الاسلامية الشرقية مثلا مقاله « التنظيم العسكري عند الغزنويين » نشرت في مجلة الاسلام Der Islam مجلد ٣٦ لسنة ١٩٦٠ . كذلك « جيش الصفاريين » في مجلة مدرسة الدراسات الافريقية والشرقية في لندن SOAS لسنة ١٩٦٨ . وقد ترجمتها الى اللغة العربية في مجلة كلية الاداب بجامعة البصرة ، العدد السابع لسنة ١٩٧٢ صحيفة ١٨١ — ٢٦١ . وله مقالات واعمال مترجمة اخرى لايسع المجال هنا ذكرها . «المترجم»

(3) توجد في نهاية المقالة قائمة مفصلة بالمؤلفات التي يتكرر ذكرها .

(4) يقصد المؤلف من هذا الاستعمال الفعاليات السياسية الجريئة التي قام بها الدعاة الاسماعيليون ضد السلطة المركزية وضد من تاولوا مبادئهم . اذ ذهب ضحية خناجرهم المشهورة عدد من الشخصيات البارزة من خلفاء وامراء ووزراء . انظر كتاب البروفسور برنارد لويس الموسوم "The Assassins" لندن ١٩٦٧ وكتاب هوجسن "The Order of Assassins" ١٩٥٥ . « المترجم »

(5) وهم زعماء الديالمة الاول ف (ليلى بن نعمان) ظهر سنة ٣٠٨ هـ واستولى على نيسابور . غير ان السامانيين قضوا عليه . اما (ماكان بن كاكي) فكان قائدا في خدمة العلويين ، واخذ الري من السامانيين وكان (اسفار بن شيرويه) خصما له . واسفار شخصية عسكرية خشنة مسيطر على آمل ثم طرد (ماكان) من الري . الا ان مرداويج بن زيار ، احد قواده ، ثار عليه وقتله . (انظر د . عبدالعزيز الدوري : العصور العباسية المتاخرة ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .) المترجم

خدموهم كوزراء . وفوق هذا فان عاهلا كعضد الدولة فناخسرو(٦) لم يقيم حق تقييم حتى الوقت الحاضر . علما ـ وهذا يثير الدهشة ـ ان الاعجاب بهذا الامير الشيعي المتعصب جاء من قبل نظام الملك ، الذي كان مصمم رد الفعل السني في الفترة السلجوقية . ففي كتابه « سياسة نامه » روايات تمتدح حكم عضدالدولة ونظامه الاداري والعسكري . واعتبره نظام الملك الشخصية الثانية لمحمود الغزنوي نموذجا وقدوة .

ارتقى البويهيون السلطة كجنود هدفهم الاثراء ، وكان الدور الذي لعبه قومهم الديالمة في التاريخ الاسلامي عسكريا الى حد ما . وفي الواقع لم يظهر من هذه المنطقة الجبلية الواسعة ، والمتاخرة ثقافيا ، من ايران علماء او ادباء . ولكن الامراء البويهيين اعتمدوا على موظفين ومساعدين من البلدان العربية او من بقية ايران لغرض ادارة دفة حكومتهم بصورة سهلة . لذلك يعد الجانب العسكري من الحكم البويهي مهما دائما ، اذ ظهرت ـ بفعل الحاجات والمقتضيات العسكرية ـ عدة تغيرات ادارية واقليمية اثرت باستمرار على منطقتي غربي ايران والعراق اللتين سيطر عليهما ووسعهما بشكل ابعد دخول السلاجقة .

كانت الامارة البويهية في فترة انتعاشها ـ اي في عهد كل من ركن الدولة (٣٢٣ـ٣٦٦هـ/٩٤٩ـ٩٧٧) ، عضدالدولة (٣٢٨ـ٣٧٢هـ/٩٤٩ـ٩٨٣) وفخر الدولة (٣٦٦ ـ ٣٨٧هـ/٩٧٧ ـ ٩٩٧) ـ اعتدائية وتوسعية ، فاصطدمت بالسامانيين(٧) والزياريين(٨) في المشرق وبالحمدانيين وامارات عربية اخرى في اطراف الصحراء السورية في الغرب . فيذكر الثعالبي في كتابه « لطائف المعارف » ان عضد الدولة ، الذي حصل على عدد من المناطق ، كان اميرا وحيدا بين معاصريه « تحقيق دي بونج ، ليدن ١٨٦٧ » ص ٥٦ ـ ٥٧ ، كذلك تحقيق الابياري والصيرفي « القاهرة ١٩٦٠ » ص ٨٣ ـ ٨٤ . وترجمه بوزورث تحت عنوان(٩)

The'alibi's book of curious and entertaining information [Edinburgh 1966]

الفصل المعنون « ملك ملك في عصرنا هذا ممالك تسعة من الملوك الكبار اما غلبة ، واما وراثة ، ولا يعرف في الاسلام مثله على ما حكي ابو منصور البريدي »(١٠) .

بالاضافة الى هذا الجانب التوسعي الذي امتازت به الدولة البويهية فان هناك سببا تكنيكيا جعل من التنظيم العسكري عند البويهيين يستحق دراسة منفصلة وهو الطبيعة التكوينية الخليطة للجيوش البويهية ومكانتها بالنسبة الى تطور الجيوش ذات القوميات المتعددة . اذ ان الجيوش التي ترتكز على المماليك كانت صفة متميزة للفترة الوسيطة من تاريخ العباسيين وما بعدها . ففي خلال القرن التاسع الميلادي تحول جيش الخلفاء القديم المتكون من القبائل العرب والحرس الخراسانيين الى قوة صار فيها الغلمان والمماليك هم المتنفذون(١١) . ولما كان هؤلاء جنودا محترفين ، ولما كانوا يرتبطون بالحاكم بروابط من الولاء الشخصي فان هؤلاء الاتراك الرقيق منهم والاحرار كان ينتظر منهم ان يقدموا اخلاصا مطلقا لاسيادهم غير مقيدين بمصالح مكتسبة ، مع العلم بان هذه التوقعات ، كما يظهر ، لم تتحقق في تاريخ الخلافة لا سيما بعد مقتل المتوكل في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١(١٢) . ومع كل

---

(٦) هو ابو شجاع فناخسرو ، ابن ركن الدولة الاكبر . كان في بداية حياته صاحب بلاد فارس بعد خاله عماد الدولة سنة ٣٣٨هـ . وحصل على لقب عضد الدولة من الخليفة المطيع سنة ٣٥١ هـ . ويعد من اشهر الامراء البويهيين سواء من الناحية السياسية اذ بسط سلطته على مناطق واسعة او من الناحية الادارية اذ انتظمت الادارة وعم السلام والهدوء وقضى على الفوضى او من الناحية الاقتصادية والعمرانية اذ عم الخير وازدهرت الحياة الاقتصادية او حتى من الناحية الفكرية بتشجيعه الفكر والعلم والادب . امتدت امارته على العراق خلال ٣٦٧ـ٣٧٢هـ . «المترجم»

(٧) يرجع اصلهم الى عائلة زرادشتية ، اسلم جدهم سامان على يد اسد بن عبدالله القسري الوالي الاموي . وقد بلغت هذه العائلة اوجها زمن الخليفة المأمون اذ عين اولاد اسد بن سامان الاربعة في عدد من المناطق في ما وراء النهر كسمرقند وفرغانه وهرات . امتد حكمهم من سنة ٢٦١ هـ الى ٢٨٩هـ في ما وراء النهر وايران . وشجع السامانيون الشعراء الفرس كما انهم شجعوا على بعث النهضة الفارسية لكانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية . انظر د . الدوري : المصدر السابق ص ١٢٠ ـ ١٢٥ . (المترجم)

(٨) يرجع اصل الزياريين الى مرداويج بن زيار الذي اعلن استقلاله في طبرستان وجرجان ، واتسع نفوذه بعد ذلك الى اصفهان وهمذان . امتد حكم الامارة الزيارية من سنة ٣١٦ هـ الى ٤٣٤هـ (المترجم) .

(٩) لقد اضاف البرفسور بوزورث على ترجمته لكتاب لطائف المعارف حواشي عديدة مفيدة . « المترجم » .

(١٠) يذكر الثعالبي هؤلاء الملوك التسعة والمناطق الخاضعة لهم ... والملوك هم : محمد بن الياس ، يوسف بن الوجيه ، ابو الحسين بن بويه ، ناصر الدولة الحمداني وشمكير بن زيار ، ابو علي بن بويه ، علي بن بويه ، صاحب الاحساء والقرامطة ، صاحب البحر (ص ٨٣ ـ ٨٤) « المترجم »

(١١) على اثر مجيء العباسيين الى السلطة سنة ١٣٢ هـ قل الاعتماد على الاعراب في الجيش على عكس ما قام به الامويون . فالعباسيون قربوا بادىء الامر الفرس واعطوهم امتيازات واسعة ، مما اضطر العرب القاطنة اما ان ينسحبوا من الجيش ويسكنوا المدن ويزاولوا المهن المختلفة ، او يتراجعوا الى الصحراء فينضموا الى القبائل العربية التي اخذت تتجه صوب جنوب العراق واواسطه وجنوب بلاد الشام ، وهناك جانب منهم انضم الى قطاع الطرق ، اذ اخذ يمارس اعماله في النهب . « المترجم »

(١٢) لعب الزعماء العسكريون الاتراك دورا رئيسا في اختيار المتوكل خليفة بعد وفاة الواثق سنة ٢٣٢ هـ الذي رفض ان يسمي الخليفة من بعده . وعلى هذا الاساس فان العسكريين الاتراك وجدوا مجالا لسبحا لان يتنفلوا ويتبضعوا على زمام الامور . واهم ما اتصفت به فترة الخليفة المتوكل : تزايد نفوذ الاتراك وتدخلهم في امور البلاد ، لصراع الخليفة مع الزعماء العسكريين الاتراك ونجاحه في بعض المحاولات الا انه في النهاية ذهب ضحية . اذ قتل سنة ٢٤٧هـ . ولمقتله اهمية خاصة فهو يعد اول نجاح حصل عليه الاتراك في تسلطهم فكان بذلك ←

هذا فقد فلدت الامارات الاقليمية الخلافة العباسية في تكوين هذه الجيوش المحترفة حتى اصبحت فيما بعد قاعدة في العالم الاسلامي . ومن الممكن الملاحظة بان هذا التطور بلغ اوجه في جيوش امارات السامانيين والفاطميين والغزنويين(١٣) والسلاجقة(١٤) .

يعتبر الجيش البويهي مهما لانه يشير الى مرحلة انتقالية من التطور باعتباره يستند ، جزئيا ، الى الاتباع الاهليين (اي جنود الامراء الديالمة) كما كانت الحال في الجيوش العربية القديمة ، كما ويستند بعض الشيء الى جماعات العبيد المرتزقة المالوفة انئذ بنمط جديد (اي الاتراك) . واينما كانت ازدواجية كهذه في الجيوش الاسلامية فانه غالبا ما تنشأ متاعب بين الجماعتين . ويمكن ملاحظة هذا بوضوح في الفترة السلجوقية ، وذلك لان السلاجقة نادرا ما افلحوا في التوفيق بين العنصر التركماني القبلي وفكرة الجيش المحترف المرتبط برواتب او ارزاق ، غير انه من الممكن توضيح التوتر بين العنصرين المختلفين في الفترة البويهية بسهولة . ان هذا التوتر لم يكن يحدث دون ان يؤثر بعض التاثير على مصير الامارة وبصورة خاصة في الفترة المتاخرة التي انعدم فيها وجود قيادة قوية(١٥) .

ان التمعن في دراسة العنصر الديلمي في الجيوش البويهية ينبغي ان يبدأ من منطقة الديلم نفسها ، اذ ان هناك عددا من المشاكل التي تفرض نفسها . لماذا كان سكان هذه المنطقة، منطقة قزوين ، الغامضة ــ التي في الحقيقة لم يلتفت اليها المؤلفون المسلمون ــ قد قفزوا الى مثل هذه الشهرة والنفوذ خلال القرن العاشر ؟ وكيف استطاعت هذه المنطقة ان تجهز قوة بشرية لعمليات عسكرية واسعة كتلك التي اخذ مختلف الزعماء العسكريين الديالمة على عاتقهم القيام بها ؟ فمن الواضح ان الحياة في منطقة الديلم كانت بربرية وصعبة . عندما ارسل مرداويج بن زيار الى اخيه وشمكير في جيلان رسولا غير ديلمي ، فان هذا الرسول وجد وشمكير مع جماعة يزرعون الارز ، حفاة ونصف عراة ، عليهم سراويل مرقعه ، وقمصان قديمة بالية . وكان رد فعل وشمكير في بداية الامر لعروض اخيه انه « ضرط بفمه في

بداية مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العباسية . « المترجم »

(١٣) تمركزت الامارة الغزنوية في افغانستان والبنجاب وفي عهد مؤسسها سبكتكين امتدت الى خراسان ايضا . وبعد محمود الغزنوي ابن سبكتكين من الشخصيات الكبيرة المشهورة في التاريخ الاسلامي خاصة فيما يتعلق بفتوحاته في الهند . امتد حكم الامارة الغزنوية من سنة ٣٥١ الى ٥٨٢ هـ .

والسلاجقة امارة تركية مشهورة لعبت دورا متميزا في التاريخ الاسلامي ، امتد نفوذ دولتهم من اقصى حدود غرب افغانستان الى ساحل البحر المتوسط . وانقسمت الى عدد من الدويلات مثل سلاجقة ايران وسلاجقة الشام وسلاجقة العراق ... الخ . اما سلاجقة العراق فيمكننا القول بان حكمهم امتد من سنة ٤٤٧هـ ــ عندما دخل طغرلبك بغداد ــ الى سنة ٥٩٠هـ . « المترجم » .

(١٤) انظر عن هذه الجيوش بصورة خاصة روبين ليفي : « التركيب الاجتماعي في الاسلام » كمبرج سنة ١٩٥٧ ، ص ٤١٧ وما بعدها . وانظر مقالة دي سورديل «غلام» القسم الاول (الخلافة) في دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة جديدة ، وفيها معلومات عن الجيوش في المناطق الوسطى من الخلافة . وانظر مقالة بوزورث « غلام » القسم الثاني (ايران) في دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة جديدة ، وفيها معلومات عن الجيوش في العالم الايراني . وهناك دراسة تتعلق بجيوش الامارات الاقليمية لبريك I. Hrbek عنوانها

"Die Slaven in Dienste der Fatimiden". In Archiv Orientali XXI (1953), p. 543—81.

ومقالة بوزورث « التنظيم العسكري عند الغزنويين » في مجلة الاسلام Der Islam مجلد ٣٦ (١٩٦٠) ص ٢٧ ــ ٧٧ . وهناك ملخص لها في كتاب « امبراطورية الغزنويين في افغانستان وشرقي ايران ٩٩٤ ــ ١٠٤٠ » لدنبره ١٩٦٣ ، ص ٩٨ ــ ١٢٨ . لنفس المؤلف .

(١٥) على الرغم من فقدان الكثير من الكتب التاريخية الغنية نسبيا عن الفترة البويهية ، لدينا ما هو بالحقيقة مصدر معاصر لتاريخ الحياة الادارية والعسكرية البويهية في تجارب الامم لمسكويه . ويتضمن مادة من المؤرخين ثابت بن سنان بن قره وهلال بن المحسن الصابي ، وكذلك من موظفين ورواة في السلطة البويهية (انظر ام.اس . خان : « الرواة الشهود عيان في تاريخ مسكويه المعاصر » (باللغة الانجليزية) في مجلة Islamic Culture مجلد ٣٨ (١٩٦٤) ص ٢٩٥ ــ ٣١٣ . وبصورة عامة انظر دي. اس. مرغليوث : « محاضرات عن المؤرخين العرب » (بالانجليزية) كلكتا (١٩٣٠) ص ١٢٨ــ١٢٧ كذلك اف . روزنثال : « علم التاريخ عند المسلمين » (بالانجليزية) ليدن ١٩٥٢ ، ترجمه الى اللغة العربية الدكتور صالح احمد العلي ، ١٩٦٣ . المترجم » . كذلك انظر المقالة المجهولة المؤلف المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة قديمة ، وعنوانها « ابن مسكويه » وهي مقالة سطحية . ويعطي ابن الاثير صورة مترابطة عن تاريخ البويهيين ، ويمكن القول انه قد استفاد من تاريخ هلال ومن ناحية اخرى فانه يبدو ان تكملة ذيل التجمة ابي الحسن محمد وهو ابن هلال الصابي مفقودة فقط في كتاب سبط بن الجوزي « مرآة الزمان » (انظر كلود كاهين) : « مصادر تاريخ الفترة السلجوقية » (باللغة الانجليزية) منشورة في كتاب مؤرخي الشرق الاوسط . حققه كل من برنارد لويس وهولت (لندن ١٩٦٢ من ٦٠ــ٦١) . اما مؤلفات هلال الاخرى ككتاب « الوزراء » ، « ورسوم دارالخلافة » فانها القى ضوءا قليلا على الامور العسكرية ، على الرغم من ان الاول منهما يتعامل بصورة رئيسة مع الفترة التي سبقت مباشرة سيطرة البويهيين على السلطة . وفيما يتعلق بالمؤلفات الثانوية عن تاريخ البويهيين والحملات التي قامت بها جيوشهم فانه يمكن الاعتماد على كتاب شيوالر "IRAN" (بالالمانية) صحيفة ٩١ وما بعدها . وهناك مقالة عن السنوات الاخيرة للحكم البويهي كتبها هارولد بويين عنوانها « البويهيون المتأخرون » (باللغة الانجليزية) . غير انه بالاستطاعة ان نجد في كتاب ادم متز « الحضارة الاسلامية » (باللغة الالمانية) صحيفة ١٩ ــ ٢٨ معلومات عن سمات الامارة البويهية . وقد ساهم كاهين في دراسته المسحية الغنية من الدولة البويهية بصورة

لحية اخيه »(١٦) . وقد فزع الرسول لخشونة وشمكير وقال انه خجل من التفكير بها بعد ذلك (ابن الاثير ج٨ ص ١٨٢-١٨٣ ، انظر ايضا مجمل التواريخ ص ٢٨٩) . بمثل هذه الفرص المحدودة في ديار الديالمة فانه ليس هناك مايثير العجب في ان يتدفق هؤلاء الى الخارج لاحقين بقوادهم الموفقين امثال مرداويج (انظر ابن الاثير ج٨ ص ١٦٧ ، ١٩٩) ، ومن المحتمل ان هذا التدفق قد خفف من ضغط السكان في موطنهم . وفي غضون القرنين العاشر والحادي عشر صرنا نجد الجنود الديالمة المرتزقة في جيوش الفاطميين والغزنويين (انظر في اثناء صحيفة ٢٥-٥٧) . ولقد اوضح مينورسكي ان من بين اسباب ضعف الديالمة السياسي تشتت قواهم البشرية في الكثيرة جدا على مساحة واسعة(١٧) .

اما المشكلة الاخرى فهي الى اي مدى يمكن حسبان اي عوامل دينية تكمن وراء هذا الانفجار ، سواء كانت ايرانية قديمة او شيعية . صحيح ان بعض الزعماء الديالمة الاوائل قد احتفظوا بالعقائد الايرانية القديمة التي حسبما يظهر بقيت حية في مكان صعب المنال كالديلم حتى القرن الثامن وما بعده . وهذا هو الشائع في حالة مرداويج الذي اطلق عليه مينورسكي (Tantusque et barbare) (اي البربري وغريب الاطوار) . فقد قتل جنوده علماء الدين المسلمين في همدان والدينور ، وان مرداويج نفسه قد حلم باعادة الامبراطورية الفارسية القديمة والدين الايراني القديم وبكونه الشاهنشاه(١٨)

ومع ان اسفار بن شيرويه كان اصلا في خدمة السامانيين غير انه لم يكن مسلما ، وانه بعد ان تمكن من التخلص من طاعة نصر بن احمد وانشغل بصورة مستقلة لفتح طبرستان وشمال ايران ، كشف علانية عن اتجاهه المعادي للاسلام . ففي قزوين منع الناس من الصلاة ، وخرب الجوامع ، وامر بان يلقى مؤذن المسجد الجامع من منارته(١٩) . وهذا ضلال مبكر . وفي القرن الثامن دخلت طبرستان والديلم افكار شيعية فعاله من قبل دعاة حسينيين . والذي يبدو ان هذه العقائد كان لها تأثير فعال في اخلاق وتحرير قوة الديالمة الى خارج منطقة جبال البرز(٢٠) Elburz . ومن المؤكد ان المذهب الشيعي صار صفة متميزة للديالمة. والزياريون (وكانوا من اصل جيلاني وليس ديلميا) في طبرستان وجرجان هم الوحيدون الذين جعلوا من انفسهم ممثلين للمناخ الديني السني القوي في خراسان والشرق ولقد قبل عدد من عناصر الامارة البويهية وانباعهم الديالمة الدعاة الاسماعيلية بقليل من العاطفة وذلك في نهاية الفترة البويهية . وقلما نوحظ انه من الصعوبة ان يكون ظهور قلعة الموت ، والقلاع الاسماعيلية الاخرى فيما بعد في المنطقة القديمة ديلم ، مجرد مصادفة(٢١) .

للاجابة على هذه المشاكل لا بد من البحث اولا في بلاد الديلم ذاتها ، ومعلوماتنا عن التركيب الاجتماعي والاقتصادي لهذه المنطقة واحوالها الثقافية والدينية مقتضبة ، وليس من المحتمل انها ستتسع كثيرا . ان اكثر المعلومات نفعا تلك التي قدمها احمد كسروي في كتابه «شهرياران كمنام» Shahriyaran-i gum-nam « اي ملوك غير مشهورين - المترجم » (طهران ١٣٠٧ - ١٣٠٩/١٩٢٨ - ١٩٣٠) ج٢ ص ٢ وما بعدها . كذلك تلك التي قدمها احمد اتش Ahmed Ates في دائرة المعارف الاسلامية في مقالة « ديلم » . ايضا ما قدمه مينورسكي في مقالته « ديلم » المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) حيث انهى فيها دراسته الاولى La domination du Dailamites « باللغة الفرنسية وترجمته النفوذ الديلمي . المترجم » .

يشير القدم ما ذكر من الديالمة الى حبهم للحرب ونزعتهم

عامة ، وعن الانجاعات العامة في تلك الفترة في مقالته « البويهيون » في دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة جديدة .

« وبالمناسبة فان مترجم المقالة قد تناول اهمية كتاب ثابت بن سنان بالنسبة لمؤرخين مشهورين كمسكويه وابن الجوزي وابن الاثير وغيرهم في مقالة نشرها في مجلة المورد التي تصدرها وزارة الاعلام العراقية ، المجلد الثاني ، العدد الثاني لسنة ١٩٧٣ ص ٢٢٢ - ٢٤٥ . المترجم »

(١٦) ذكر ابن الاثير اسم الرسول على انه ابن الجعد وقد ارسله مرداويج لاقناع وشمكير للالتحاق باخيه فيقول ابن الاثير ما نصه « فلما وصلت - الرسول - سألت عنه فدللت عليه فاذا هو مع جماعة يرعون الارز فلما رأوني تصدوني وهم حفاة عراة عليهم سراويلات ملونة الخرق ، واكسية ممزقة فسلمت عليه وابلغته رسالة اخيه واعلمته بما ملك من البلاد والاموال وغيرها ، فضرط بفمه في لحية اخيه . وقال انه لبس السواد وخدم المسودة يعني الخلفاء من بني العباس . فلم ازل امنيه واطمعه حتى خرج معي فلما بلغنا قزوين اجتهدت به ليلبس السواد ، فامتنع ثم لبس بعد الجهد . قال فرأيت من جهله اشياء استحي من ذكرها ... » ابن الاثير ج٨ ص ١٨٢ - ١٨٣ (المترجم)

(١٧) انظر مقالة « ديلم » في دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة جديدة .

(١٨) المسعودي : مروج ج٩ ص٢٢-٢٨ . (والنص عند المسعودي « فخرج اليه - قائد مرداويج - من منوري اهل البلد وصوفيتها وزهادها » المترجم) مسكويه : تجارب الامم ج ١ ص ٣١٦-٣١٧ ، الترجمة الانكليزية ج ٤ ص ٢٥٨-٢٥٩ [ولقد جاء في النص مايلي « وكان في نفسه - مرداويج - ان يملك بغداد ويعقد التاج على راسه ، ويعيد ملك الفرس (المترجم) ، ابن الاثير ج ٨ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ٢٢٦ ، انظر ادم متز : الحضارة الاسلامية « باللغة الالمانية » ص ٩ - ٢٠ (الكتاب ترجم للعربية من قبل محمد عبدالهادي ابو ريده والنص موجود في ج١ ص ٢٣ . المترجم) .

(١٩) مروج ج ٩ ص ٨ ، ١٠ - ١١ (قال المسعودي « وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فامر ان ينكس منها على ام راسه ، وخرب المساجد ، ومنع الصلوات » المترجم) ، ابن الاثير ج ٨ ص ١٤٣ .

(٢٠) وهي الجبال الممتدة على الساحل الجنوبي لبحر قزوين (المترجم)

(٢١) انظر ابن البلخي : فارس نامه ، تحقيق لسترنج ص ١١٩ المذكور في مقالة بوين « البويهيون المتأخرون » ص ٢٢٤ . وفيه امور تتعلق بفعاليات الدعاة الاسماعيليين في بلاد فارس وان هناك شخصا يسمى بابي نصر بن عمران خلال حكم عماد الدين ابي كاليجار من سنة ٤١٥ - ٤٤٠ هـ /١٠٢٤ - ١٠٤٨ .

الحربية . فقد حصل هؤلاء الجبليون على سمعة مشهورة بكونهم جنودا مرتزقة ، وفوق كل هذا من المشاة الرجالة Infantrymen ودورهم يشبه دور السويسريين في أواخر العصور الوسطى وعصر النهضة في اوربا . وسجل كل من كسروي وانش ومينورسكي في المؤلفات التي سبق ذكرها الروايات التي تتعلق بالجنود الديالمة خلال الفترات القديمة الساسانية والبيزنطية . وتعد المعلومات التي كتبها بروسوبيوس Procopius في كتابه (٢٢) "De bello Persico" طريفة بصورة خاصة ، فالديالمة المستقلون خدموا الساسانيين كجنود مرتزقة. وكانت الصفة المميزة لتجهيزاتهم القتالية هي السيف والدرع والرمح Javelin (اي الجوبين الاسلامية) . وان هذه الصورة تتطابق تماما مع صفاتهم الاسلامية المتاخرة(٢٣) . بقيت الديلم غير مفتوحة من قبل العرب في القرون الاسلامية الاولى ، وقد كانت الاتصالات على طول الحافة الجنوبية لجبال البرز كثيرا من حملات الغزين الديالمة وقطاع الطرق ، ولذلك بات من الضروري ان تحصن مدن امثال شالوس(٢٤) في طبرستان وقزوين وقم تحصينا قويا بوجه الغزاة .

لقد ازداد الطلب على الجنود المرتزقة في الخلافة العباسية خلال القرن التاسع لغرض استخدامهم حراسا في القصر وبدرجة واسعة في الجيش ، ولذلك ابتدا تدفق الديالمة باتجاه الجنوب ، علما بان هذا التدفق لم يكن من الناحية العددية كبيرا الى درجة كافية حتى يمكن اعتباره تجمعا جنسيا كبيرا كالاتراك والخراسانيين والفراغنة والمغاربة المصريين العرب . ففي الجرد الذي قدمه هلال الصابي المتعلق بالمصروفات الادارية للخلافة خلال فترة المعتضد(٢٥) (٢٧٩-٢٨٩ / ٨٩٢-٩٠٢) تعداد لجماعات الحرس ويتضمن اصحاب(١٦) المصاف الذين يصطفون في قاعة استقبال القصر - اي صحن القصر - المترجم - (ومما لا شك فيه ، كما اشار سورديل في مقالته « غلام » المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية طبعة جديدة ، القسم الاول « الخلافة » (ان هؤلاء كانوا يشكلون نواة الرجالة المصافية الذين يرد ذكرهم في المصادر المتاخرة) . وكان من بين هؤلاء الجنود الديالمة والطبرية اي الذين قدموا من الديلم وطبرستان(٢٧) . ومنذ سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢ - ٩١٣ وحتى سنة ٣٠٤هـ/٩١٦ - ٩١٧ كان علي بن وهسوذان - وهو جندي ديلمي - متقلدا اعمال المعاون باصبهان للخليفة المقتدر(٢٨) . واستمرت العادة في ان يحتوي حرس الخليفة الخاص على الديالمة والاتراك ايضا لعدة عقود تالية . فحينما كافأ الخليفة(٢٩) الطائع عضدالدولة بلقب تاج الملة وخلع عليه الخلع ومرسوم التاييد كان الديالمة مصطفين في الجانب الايسر من قاعة الحضور(٣٠) - الصحن - والاتراك من الجانب الايمن في حفل استقبال الامير البويهي(٣١) . ولقد وجد المغامرون الديالمة طريقهم الى قوات القوى الاقليمية المجاورة في العقود الاولى من القرن العاشر عندما صار جميع شمالي واواسط ايران بعيدا عن سيطرة الخليفة . فقد دخل علي بن بويه خدمة نصر ابن احمد الساماني (٢٠١-٣٣١هـ/٩١٤-٩٤٣) لمدة من الوقت ، كما استعمل ناصر الدولة ابو محمد صاحب الموصل (٣١٧ - ٣٤٩/٩٢٩ - ٩٦٧) ومؤسس الامارة الحمدانية في فترة مبكرة الديالمة والغلمان الاتراك ، وبذلك تجنب الاعتماد المطلق على الاعراب البدو الذين كانوا عرضة لان يرفضوا القتال في الشتاء(٣٢) .

غير ان الامر المهم في هذا المجال هو ان الديالمة والجيلانيين

---

(٢٢) اي الحرب الفارسية « المترجم » .

(٢٣) انظر كرستنسن : « ايران في عهد الساسانيين » L'Iran sous los Sassanides (كوبنهاجن ١٩٤٤) صفحات ٢٠٤ ، ٢٠٩ - ٢١٠ . « والكتاب مترجم الى اللغة العربية ترجمة د . يحيى الخشاب ، ١٩٥٧ . المترجم »

(٢٤) شالوس : مدينة بجبال طبرستان وهي احد ثغورهم بينها وبين الري ثمانية فراسخ . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ليبزج ، ج ٣ ص ٣٢٧ (المترجم)

(٢٥) ابو العباس ابن الموفق الملقب بالمعتضد بالله . خلف المعتمد على الله سنة ٢٧٩ هـ . وتعد فترته امتدادا لفترة ابيه الموفق القوية . اذ كمل عمل ابيه في انعاش مركز الخلافة والتقليل من نفوذ الجنود الاتراك ، كما انه ساعد على استقرار الاوضاع الاقتصادية والادارية . والغى المواريث واسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم من الرعية « المترجم »

(٢٦) الصابي : الوزراء ص ١٥ (قال الصابي « واصحاب المصاف بباب العامة » المترجم)

(٢٧) المصدر ذاته ص ١٥ .

(٢٨) مسكويه : تجارب ج١ ص ٢٦ ، ٣٨ - ٣٩ ، الترجمة الانجليزية ج ٤ ص ٢٩ ، ٤٣ . ان المقصود بالمعاون هنا « وظيفة الشرطة » وليست « جمع الضرائب » ويثبت هذا التفسير بالاشارة الواردة في نفس المصدر ج ١ ص ١٣٩ ، الترجمة الانجليزية ج١ ص ١٥٦ المتعلقة بجندي تركي (ان نص الرواية هو « وفيها - سنة ٣١٢هـ - خلع على نجح الطولوني ورد الى اصبهان ولاية اعمال المعاون بها » . ومما تجدر الاشارة اليه تعقيبا على قول البروفسور بوزورث ان هناك عددا من الاشارات التي يفهم منها ان عامل المعاون المقصود به صاحب الشرطة فقط بل وانما الامير ايضا ، انظر مثلا « متقلد الحرب والمعاون » او « متقلد الحرب » او « عامل الحرب » في مسكويه ج١ ص ٣٠١ ، ٣٦٤ . واعتمادا على المقريزي (خطط ج٢ ص ٢٢٢) ان صاحب الشرطة كان يسمى ايضا بالامير . ومن المناسب القول بأن هناك بحثا جيدا عن موضوع الشرطة والمعاون كتبه Walter Behrnauer بعنوان "Memoire sur les institutions de police chez les Persian et les Turcs" In Journal Asiatique (XV, 1860, Vserie).

« المترجم » .

(٢٩) ابو عبدالكريم الملقب بالطائع جاء الى الخلافة سنة ٣٦٣ هـ على اثر عزل بختيار البويهي للخليفة المطيع . وعاصر امارة كل من بختيار وعضد الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة حتى اجبر على خلع نفسه في سنة ٣٨٢ هـ (المترجم)

(٣٠) يقصد المؤلف صحن السلام . انظر رسوم دار الخلافة ص ٨١ « المترجم »

(٣١) هلال : رسوم دار الخلافة ص ٨٠ - ٨١ .

(٣٢) مسكويه ج ٢ ص ٩٠ ، ١٢٢ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٩٤ ، ١٢٦ ، انظر ابن الاثير ج ٨ ص ٢١٠ .

شكلوا الخلفية القومية لاسناد الاخوان البويهيين الثلاثة ، وكان كثيرا ما يشار اليهم بالاولياء(٣٣) .

استمر الديالمة يلعبون دورهم التاريخي خلال الفترة البويهية كرجالة محاربين اشداء بسيوفهم ودروعهم البراقة ، وفؤوسهم الحربية ، وسهامهم وقواسهم ، وفوق كل هذا بمزاريقهم Zupins (يشبهها مؤلف المقال بـ Juvelins) التي تستعمل اما للطعن او لرمي الاعداء . والجوبين (او ما يقاربه باللغة العربية مزراق انظر عريب القرطبي : صلة تاريخ الطبري القاهرة ، الحسينية ج١٢ ص ٨٢) يميز في المصادر باستمرار عن الرمح العادي الذي كان يستعمل من قبل المحاربين

(٣٣) اوردها البروفسور بوزورث على هذا الشكل Partisans of the dynasty par excellence
اي موالو الدولة الاول . المترجم .

كمثل على هذا انظر هلال في تجارب الامم ج ٢ ص ١٢ ، ٤١ ، ١٥١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٩ ، الترجمة الانجليزية ج٦ ص ٤ ، ٢٩ ، ١٥٧ ، ٢٥٦ ، ٤٠٦ . « ومن الجدير ذكره هنا ان المؤلف في الاشارات السابقة وغيرها كما سنبينه في ادناه يشير الى هلال الصابي او بعبارة ادق الى قطعة من تاريخ هلال الموجودة في ذيل تجارب الامم لابي شجاع الروذراوري . والواقع ان تلك الاشارات لم تكن لهلال الصابي بل لابي شجاع الروذراوري الذي ذيل تجارب الامم لمسكويه . وان القطعة من تاريخ هلال التي تحتوي على حوادث خمس سنين من سنة ٢٨٩ وحتى سنة ٢٩٣ هـ تبدأ من صحيفة ٢٢٤ الى ٤٦٠ من ذيل التجارب ، المترجم » انظر ايضا التنوخي : نشوار المحاضرة ص ١٥٤ ، الترجمة الانجليزية ص ١٦٨ . لقد اوصى معز الدولة في وصيته (٩٦٧/٣٥٦) لابنه وخليفته في بغداد ، عز الدولة بختيار ، ان يرضي الديالمة ويرعاهم ويلاحظ باستمرار انتظام دفع ارزاقهم ، تجارب ج٢ ص٢٣٤ وما بعدها ، الترجمة الانجليزية ج٥ ص ٢٤٨ وما بعدها (والنص هو « وصاه بمداراة الديلم وازاحة عللهم عند ارفات استحقاقاتهم ، المترجم) .

غالبا ما يفرق مسكويه بين الديلم والجيل انظر مثلا تجارب ج١ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ج٢ ص ٨٥ ، الترجمة الانجليزية ج٤ ص ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ج ٥ ص ٨٩ ، ويبدو ان هناك بعض المنافسة ، اذا لم يكن عداء حقيقيا ، بين المجموعتين . يذكر المسعودي انه عندما حرض الخليفة المقتدر نصر بن احمد الساماني سنة ٣١٧هـ/٩٢٩ ضد الداعي العلوي الحسن بن علي الاطروش وخليفته (ماكان بن كاكي) ، أوصى نصر قائده ان يستفيد من الضغائن والتنافر الموجود بين العناصر الديلمية والجيلانية في صفوف جيوش (ماكان) . انظر مروج ج ٩ ص ٧٠٦ . ويمكن القول ان لهذه العداوة بعض الجذور الدينية . اذ يقدم المقدسي ص ٣٦٧ ملاحظة تفيد بان الديلم كانوا شيعة ، بينما كان الجيلانيون سنة . غير ان السبب الاساس للانقسام كان بدون شك اجتماعيا وجغرافيا وتضارب المصالح بين الجيليين في الداخل والساحليين على سواحل بحر قزوين .

العرب في القوات البويهية(٣٤) . وعودة الى منطقة الديلم فان الديالمة كانوا دائما يحملون هذه الجوبينات في اجتماعاتهم العائلية والقروية(٣٥) . كما ويعتبر الجوبين والدرع من الصفات المميزة للحرس الديالمة يحملونها في المناسبات في القصور البويهية ، كما هو الحال بالنسبة للصولجان mace لغلمان البلاط عند الغزنويين(٣٦) . وفي القصة الرومانسية التي ترجع للقرن الحادي عشر ، ويس ورامين(٣٧) vis u Ramin التي كتبها فخر الدين اسعد جرجاني وصف واضح للرجالة الديالمة في المعركة . ويرى كسروي في كتابه شهرياراني گمنام (ص ٤ – ٥) ان ذلك الفصل يرجع بشكل مباشر الى اصل فرثي غير ان مينورسكي في مقالته « ويس ورامين كقصة عشق فرثية(٣٨) Vis u Ramin, a Parthian Romance

يشير الى انه من المحتمل جدا ان المعلومات استندت الى ملاحظات جرجاني الشخصية في شمال ايران . ان الامر الذي يستحق الملاحظة في تلك المعلومات اشارتها الى المعدات الحربية المتميزة للديالمة وهي الجوبين والدرع والناوك (٣٩) Nawak

(٣٤) انظر مسكويه ج ٢ ص ١١٠ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ١١٣ .

(٣٥) المقدسي : احسن التقاسيم ص ٣٦٩ « اذ جاء ان الديالمة (لهم مجالس في السكك والاسواق مرتفعة يجتمعون بها بأيديهم الزوبينات ، وعليهم الاكسية الطبرية. المترجم»

(٣٦) انظر هلال : رسوم دار الخلافة ص ١٦ ، تجارب الامم ج ٢ ص ١١٢ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ١١٦ – ١١٧ . والاشارة متعلقة باستقبال سمصام الدولة لنبيل بيزنطي في قصره .

(٣٧) تشابه القصة العربية المشهورة قيس وليلى « المترجم »

(٣٨) القسم الاول نشر في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية BSOS مجلد ١١ (١٩٤٣ – ١٩٤٦) ص ٧٦٢ .

(٣٩) ناوك (مصغر ناو) جاء في المعجم الذهبي : « فارسي عربي » انه سهم او نبل صغير او انبوبه ترمى منها النبال الصغيرة . « المترجم »

لطف الدكتور دي . ان . مكنزي في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن بان ارسل لي ملاحظة لغوية تخص كلمة جوبين . والقسم الرئيس منها هو الاتي « ان اصل الكلمة غير واضح ، وهناك شكل اخر لها مثل svin او sevin > Suvin وبظهر انها امنية . وان هوبخمان Hübschman في كتابه « قواعد اللغة الارمنية » Armenische Grammatik (القسم الاول) « باللغة الالمانية » ليبزج ١٨٩٥ ص ٣٩٤ – ٣٩٥ قارن هذه الكلمة بكل من كلمة جوبين واخرى افريقية ، ولكن لسبب يتعلق باللفظ فان الصيغة او الشكل الارمني لا يحتمل ان يكون مستعارا من الفارسية . ولا يظهر ان كلمة جوبين قد البتت في الفرنسية او الـ MP غير انه ليس هناك من سبب يدعو بانها لم تكن موجوده في مصدر « ويس ورامين » وهو مصدر الفترة التي سبقت الاسلام . ويستمر الدكتور مكنزي فيذكر E. Benveniste في مقالته الموسومة Noms d'armes orientaux en grec « اي اسماء الاسلحة الشرقية في اللغة الافريقية – المترجم» ونشرها في

(وهو عبارة عن قوس او اي وسيلة مشابهة لذلك تستعمل لاطلاق السهام من انبوبة) .

اشارت المصادر اكثر من مرة الى مقدرة الجندي الراجل الديلمي العالية على تحمل المصاعب والى شجاعته بالمقارنة

Mélanges émile Boisacq, Annuaire de L'Institute de Philologie et d'Histoire Orientales et Slaves, V (Brussels, 1937), p. 45—46.

وفي هذه المقالة يتحدث (بنفنست) عن انتقالات الشعوب التي سبقت البونانيين مع الشعوب المحاربة التراقية والسكثية (des peuples guerriers, Scythes et Thraces mêlés

وهناك مثال ذو مغزى عن اختلافات الاسماء والصيغ (un exemple signifiicaif par la لكلمة رمح diversité de ses formes est le nom de L'epieu)

ويذكر المؤلف اشكال الكلمة في كل من اللغات الاتية ، الافريقية ، اللاتينية sibyna و sybina والفارسية zopin, robin, zobin والارمنية kvin, sevin, suvin والسريانية swbyn والارامية swpyn

Festus p 453, donne sybina pour illyrien. Il se seut, quant à L'origine immédiate. Mais, à travers L'illyrien, ce doit être un mot thraco — scyhe qui s'est propagé simultanément à L'Quest et à L'Est do la Mer Noire

« والمقصود بهذه الجملة الفرنسية ان (فستوس) يقترح بان اصل كلمة Sybina يرجع الى اللغة الالبرية ومن طريق هذه اللغة اصبحت تراقية وسكثية واخذت تنتشر في الوقت ذاته على السواحل الغربية والشرقية للبحر الاسود . المترجم »

اما فيما يخص الناوك فان الاشارة السابقة تؤكد الفكرة بان القوس القديم الذي يرمى منه السهام والحجارة .. الخ وما شابه ذلك من الاقواس كانت معروفة في العالم الايراني قبل ١١٠٠ ، وهذا ما يزعمه K. Hurri في كتابه :

"Zur Geschichte des mittelalterlichen Geschutzwesens aus orientalischen Quellen" (Helsinki 1941), p. 118 cf. 107.

وقد كرره شبولر في كتابه (ايران في العصور الاسلامية الاولى) ص ٤٩١ .

وهناك اشارة الى ناوكيان (nawakiyan) في تاريخ بيهق لابن فندق يشير فيها الى حوادث وقعت في نهاية القرن العاشر ، وقد دونت مسبقا من قبل كاهين في عرضه لكتاب Hurri في المجلة الاسيوية JA مجلد CCXXXVI لسنة ١٩٤٨ ص ١٦٩ . ويحتمل ان هناك اشارة اخرى وردت عن سجستان في القرن التاسع ذكرت في « تاريخ سيستان » لمؤلف مجهول . تحقيق م - امي . بهار (طهران ١٣١٤ /١٩٣٥) ص ١٩٤ ، والتي يمكن قراءتها على شكل سري ناوك sar-i nawak كما استنتجه المحقق نفسه في هامش (٦) من الصحيفة المذكورة .

بالجنود الاتراك . ففي سنة ٣٤٠هـ/٩٥١ - ٩٥٢ قام القائد الساماني منصور بن قراتكين اسفيجابي(٤٠) بالاشتراك مع الجنود الاتراك بحملة ضد ديالمة ركن الدولة في منطقة الجبال ، وقد تكبد كلا الطرفين خسائر فادحة بسبب حرارة الصيف ونقص المؤن . غير ان الديالمة ظلوا محتفظين بتماسكهم ووحدتهم ومعنويتهم في الوقت الذي اصبح فيه اتراك منصور في حالة تمرد ، فالديالمة كانوا اكثر اقتصادا واعتدالا في حياتهم من الاتراك ، وانهم كانوا عندما يذبحون جملا او فرسا يقسمونه بين عدد كبير منهم . كذلك كان جنود ركن الدولة الديالمة مفضلين بالمقارنة بالجنود الاتراك الذين كانوا مع القائد الساماني ابي علي احمد بن محمد بن محتاج اثناء حملته الشتائية حول الري. وقد حصل الجنود الديالمة على الافضلية في مناسبة اخرى عندما كان معزالدولة يحاول السيطرة على الاحواز في سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨ ، اذ عجز رماة السهام الاتراك الموجودون في جيش بجكم - قائد محمد بن رائق(٤١) امير الامراء في بغداد - عن الصمود امام الجيش البويهي بفعل الامطار المستمرة التي عطلت اوتار قسيهم(٤٢) . وعندما اتجه الروس Rus نحو برذعة(٤٣) في آران سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣ - ٩٤٤ هرب الاكراد والجنود الاخرون وجميع الطوعة الذين كانوا مع الامير ابن مسافر(٤٤) امام الغزاة

---

(٤٠) ذكر البرونسور الاسم على شكل قراتكين والاصح عند مسكويه وابن الاثير قراتكين . اما بالنسبة الى لقب الاسفيجابي فيرجع الى بلدة اسفيجاب . وهي بلدة كبيرة من اعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان (معجم البلدان ج١ ص ٢٤٩) . وقد وردت عند ابن الاثير (حوادث سنة ٣٤١ هـ) على شكل اسبيجاب . « المترجم »

(٤١) كان محمد بن رائق متوليا اعمال البصرة وواسط قبل ان يصبح امير الامراء سنة ٣٢٤ هـ . وفي تلك السنة بلغت امور الدولة العباسية المالية والادارية اسوا حالتها . فلم تات النثرات الوزارية التي قام بها الخليفة الراضي بنتائج ايجابية لانقاذ الارتباك المالي . لذلك طلب من ابن رائق ان يتقلد الامور في بغداد ، ويلقبه بلقب امير الامراء « المترجم » .

(٤٢) مسكويه : تجارب ج٢ ص ١٤٠ - ١٤١ ، ١٤٥ ، الترجمة الانجليزية ج٥ ص ٤٧ ، ١٦٥ . ابن الاثير ج ٨ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٢٦٧ (لم يرد ذكر الحادثة التي اشار اليها البرونسور في صحيفة ١٤٠ من التجارب ، وقد وجدناها في ج١ ص٢٧٨ في حوادث ٣٢٦ هـ اذ يبين مسكويه اسباب انهزام بجكم فيقول « ان المطر اتصل اياما كثيرة فعطلت القسي ومنع ذلك الاتراك ان يرموهم بالنشاب » المترجم) .

(٤٣) وهي مدينة في ايران وتعتبر آخر حدود الدربيجان . وهي مدينة كبيرة ذوة خصبة كثيرة الزرع والثمار وليس ما بين العراق وخراسان بعد الري واصبهان مدينة اكبر ولا اخصب ولا احسن موضعا منها . معجم البلدان ج١ ص ٥٥٨ (المترجم) .

(٤٤) ذكره مؤلف المقالة « الامير المسافري » وبناء على محقق تجارب الامم ان المقصود به محمد بن مسافر الذي كان خليفة المرزبان بن محمد على برذعة . انظر حاشية التجارب ج ٢ ص ٦٢ . (المترجم)

ما عدا ثلثمائة من الديالمة صمدوا بقوة حتى قتلوا جميعا الا اولئك الذين كان لديهم خيول اذ استطاعوا الهرب(٤٥) .

لقد ورد ذكر عدد من الاساليب الحربية الشائعة بالنسبة للرجالة الديالمة . اعتياديا كان المشاة يتقدمون نحو العدو بشكل صفوف متراصة (مصاف) ، فاذا ما استطاع الجانب المعادي اختراق صفوفهم وتمكن فرسانه من النفاذ الى مؤخرة المشاة فان تشكيل الديالمة في المعركة يؤول الى التشتت الذي لا يمكن معالجته(٤٦) . وهناك اسلوب حربي اخر خاص يتقدم فيه جماعة من الديالمة نحو العدو خلف جدار متين وقوي من الدروع ، ومن هنا يقومون باستخدام فؤوسهم الحربية ومزاريقهم(٤٧) (جوبينات) .

اعتاد الديالمة ايضا تشييد خيمة اثناء المعركة (اغلب الظن انها كانت تمثل نقطة تجمع) غير انهم كانوا يهدمونها في حالة اندحارهم . وعلى اية حال فانهم كانوا دائما ينصبون موضعا لحفظ اخر احتياطي من القوة لديهم كي يقدموا جهودا اضافية شديدة في القتال قبل تسليمهم ، مخافة ان يظن بانهم انما استسلموا بسبب ضعفهم او عجزهم(٤٨) . وبطبيعة الحال فان استراتيجية تباعد صفوف الجنود الرجاله كان مضرا لانه يقلص من قابليتهم على الحركة بالمقارنة بالفرسان ، غير ان هذه يمكن تذليلها عن طريق حمل الرجاله الى ساحة المعركة على البغال والجمال(٤٩) . فالغزنويون كانوا ايضا يحملون قوتهم الممتازة المتكونة من جنود البلاط (٥٠) Piyadagan.i daraghi الى مكان المعركة على جمال سريعة(٥١) . ومع ذلك فان الجنود المشاة كان يصعب عليهم الفرار من ساحة المعركة واستعادة تجمعهم وتنظيمهم مرة اخرى اذا ما سارت الامور بشكل سيء . ففي معركة قباب حميد على نهر دجلة Qibab Humaid التي وقعت سنة ٣٢٢هـ/٩٤٤ . لم يتمكن رجالة احمد بن بويه الديالمة من الهرب من لوزون القائد التركي فاضطر اكثر من الف منهم ان يستسلموا لذلك القائد . غير ان للجندي المشاة الفضلية واضحة على الفارس في الارض الصعبة والمضطربة . ففي اثناء العمليات الحربية التي قام بها عز الدولة في العراق والاحواز ضد المتمردين الاتراك حوصر في منطقة واسط ولم يستطع ان يتدبر امره بالثبات والصمود لولا انه كان قد اقام مركز قيادة جيشه وسط غابة من النخيل اذ كان لجنوده الديالمة قدرة على الحركة على عكس الفرسان الاتراك الذين لم يتمكنوا من ذلك(٥٢) .

في الحقيقة ليس لدينا معلومات تتناول التنظيم القبلي والعائلي عند الديالمة اكثر مما قدمه الجغرافيون المسلمون في القرن العاشر (امثال الاصطخري ، تحقيق دي غويه ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ، ابن حوقل ، تحقيق كريمرز ص ٢٧٦ – ٢٧٧ ، حدود العالم ص ١٢٣ – ١٢٧ ، المقدسي ص ٣٦٨ – ٣٧٠) . فلقد ورد ذكر اسماء قبيلتين ديلميتين من قبل حمزه الاصفهاني في كتابه « تاريخ سني ملوك الارض والانبياء »(٥٣) هما ورداد اوبندان Wardad Awendan (التي انحدر منها اسفار ابن شيرويه) وشيرزيل اوبندان(٥٤) Shirzil Awendan (التي انحدر منها البويهيون) . ومما يبدو ان هناك اهتماما بنقاوة الدم وسلسلة النسب وهو امر يمكن توقعه في شعب جبلي

---

(٤٥) مسكويه ج٢ ص ٦٢ ، الترجمة الانجليزية ج٥ ص ٦٨ (والنص « الا الديلم فانهم لبثوا ساعة فقتلوا كلهم الا من كان بينهم فارسا وانهزموا الفل الى البلد فهرب كل من كان له مركوب .. » المترجم) انظر مرغليوث في مقالته « سيطرة الروس على برذعة » (بالانجليزية) نشرت في مجلة BSOS مجلد ١ (١٩١٧ – ١٩٢٠) ص ٨٨ .

(٤٦) هلال الصابي في مسكويه ج٣ ص ١٣٣ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ١٣٦ – ١٣٧ « الرواية المشار اليها التي حدثت وقائعها سنة ٣٧٦ هـ ليست لهلال الصابي بل لابي شجاع الروذراوري . المترجم »

(٤٧) الطبري م ٣/١٦٩٣ « حوادث سنة ٢٥٣ هـ وتقع في طبعة دار المعارف في مصر على جزء ٩ صحيفة ٣٨٨ . المترجم «مسكويه ج١ ص٢٩٧–٢٩٨» الترجمةالانكليزية ج٤ ص ٢٣٦ – ٢٣٧ اذ تتعلق الرواية بمعركة لعلي بن بويه مع ياقوت والي بلاد فارس ووقعت سنة ٩٤٣/٣٣٢

ومن الممكن مقارنة هذه العملية باخرى مشابهة لها تخص الجنود الرجاله عند الغوريين الذين يسرد ذكرهم بعد قرنين ، وكانوا ايضا شعبا جبليا شجاعا كالديلم . فالجوزجاني يتحدث عن استعمال الغوريين للكاروا karwa وهو عبارة عن ستار للحماية مصنوع من جلد البقر ومبطن بالقطن ويوضع فوق الاكتاف كي يستعمل للدفاع عند التقدم (انظر طبقات ناصري ، تحقيق عبدالحي حبيبي ، ط . ثانية ، كابل ١٣٤٢ – ١٩٦٣/٤٣ – ٦٤) ج١ ص ٣٤٣ . وقد ترجمه اچ . جي . رافرتي (لندن ١٨٨١ – ١٨٩٩) ج١ ص ٣٥٢ – ٣٥٣ . اعتمادا على (رافرتي) ان الكاروا كانت تستعمل في افغانستان حتى فترة دخول الاسلحة النارية .

(٤٨) مسكويه ج٢ ص ٧٧ ، الترجمة الانجليزية ج٥ ص ٨١ ، هلال الصابي في التجارب ج ٣ ص ٢٢١ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٢٤٤ « الرواية التي اشار اليها الاستاذ بوزورث ليست لهلال الصابي بل لابي شجاع الروذراوري . المترجم »

(٤٩) مسكويه ج١ ص ٢٩٧ – ٢٩٨ ، الترجمة الانجليزية ج٤ ص ٢٣٦ – ٢٣٧ ، هلال في التجارب ج٣ ص ٤٢٣ ، الترجمة الانجليزية ج٦ ص ٤٤٩ « ومن الجدير ذكره اننا لم نعثر على اشارة واضحة للنقطة التي اثارها البروفسور هند مسكويه ج ١ ص ٢٩٧ – ٢٩٨ . » وان ما جاء في النص هو (فحدثني من شهد الوقعة – ٣٢٢هـ – من الديلم انه ترجل ستة نفر من الديلم وضعوا تراسهم وتقدموا زحفا واستأخر من وراءهم من اصحاب ياقوت .... الخ) المترجم »

(٥٠) تعني حرس البلاط . المترجم

(٥١) انظر بوزورث : التنظيم العسكري عند الغزنويين (مقالة بالانجليزية) ص ٥٦ .

(٥٢) مسكويه ج ٢ ص ٧٧ ، ٣٢٢ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٨١ ، ٣٦٠ ، انظر هلال في التجارب ج ٣ ص ٢٥٦ ٢٧١ ، الترجمة الانجليزية ج٦ ص ٢٧٢ ، ٢٨٨ – ٢٨٩ « الاشارة ينبغي ان تكون للروذراوري وليس لهلال الصابي . المترجم » .

(٥٣) ورد الاسم في كتاب حمزه الاصفهاني على شكل ورداد اوندان وشيرذيل اوندان . انظر كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء بيروت ١٩٦١ . ص ١٧٥ « المترجم » .

(٥٤) المصدر نفسه ص ١٧٥ .

فخور ومنعزل . ولهذا فان المقدسي (ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩) يؤكد بان الديالمة كانوا يحصرون الزواج داخل القبيلة ، وكان الموت عقوبة للذي يتزوج من خارج قبيلته . وقد شاهد المقدسي نفسه عندما كان في الديلم عملية قتل شخص اتهم بهذه الجريمة الاجتماعية(٥٥) . وضمن اطار هذه العلاقة الزوجية داخل القبيلة فان هناك بعض العادات لاولئك الذين كانوا خارج ما تفرضه الشريعة من محرمات ، ومن المحتمل ان هذه العادات كانت تقارب تلك الموجودة في ايران قبل الاسلام . فعندما استولى محمود الغزنوي على الري Ray من مجد الدولة في سنة ١٠٢٩هـ/٤٢٠ كتب في كتاب الفتح (فتح نامه Fath-Nama) الذي ارسله الخليفة بانه قد وجد في حوزة الامير البويهي اكثر من خمسين زوجة حره و ٣٣ طفلا منهن . ولما ادين بهذا العمل اجاب مجد الدولة بانها كانت عادة اجداده « هذه عادتنا(٥٦) سلفي » . ويتحدث مؤلف كتاب حدود العالم (ص ١٢٧) عن عصبية اهالي منطقتي جيلان والديلم ، تلك العصبية التي كثيرا ما ادت الى قتال دموي بين القرى المتجاورة ، ولم يهدأ هذا العداء الا عندما ترك هؤلاء الاهالي مناطقهم ودخلوا الجندية سعيا في الحصول على ارزاقهم . وبناء على قول البيروني في كتابه « الاثار الباقية » (ص ٢٢٤) المشار اليه في مقالة مينورسكي « ديلم » المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) ان الديالمة الوثنيين كانوا ينتظمون تحت رئاسة زعماء العوائل وان كل زعيم كان يمارس سلطات رئيس العائلة Pater familias ويلقب بلقب الكدخدا Kadhxudha . وعلى اية حال فقد الغي هذا النظام القبلي الابوي من قبل الداعي الحسن بن علي الاطروش(٥٧) .

ظلت مشاعر التضامن الجنسي بالغة بين الديالمة حتى بعد ان تركوا بلادهم وادرجوا في قوات الامراء البويهيين . ومما يبدو ان مطالبة الديالمة بارزاقهم وامتيازاتهم غالبا ما ادت الى ان يدس الخارجون انفسهم بين صفوفهم ، ولذلك بات من الضروري عرض الجنود بين فترة واخرى . وكانت مهمات العرض هذا من مسؤولية عارض الجيش (انظر في ادناه صحيفة ٣٢ ـ ٣٤). ففي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧ اسقط عز الدين جميع اولئك الذين لم يكونوا اصلا ديالمة او جيلانيين ولكنهم اختلطوا بهم «من اختلط بهم ممن ليس منهم »(٥٨). وفي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨ نصح صمصام الدولة صاحب فارس وكرمان من قبل نصحائه ان يعمل سجلا لجميع الديالمة في مناطق نفوذه على ان يستبقي صحيحي النسب « صريح النسب والاصل » ويسقط اولئك المشتبه بنسبهم واصلهم والدخلاء . وكان القصد من وراء ذلك ان الامير يكون باستطاعته تجريد الاصناف الاخيرة ـ اي المشتبه في اصولهم والدخلاء ـ من اقطاعاتهم وبذلك يزيد من موارد ثروته الخاصة. اما الشرف على عملية العرض او الفحص هذه فانه كان ايا جعفر استاذ هرمز بن الحسن الخبير بانساب الديالمة وقد استدعي من كرمان وابتدأ عمله في (فسا) Fasa حيث تركزت بقوة مقاطعات الديالمة بصورة خاصة . وبعد انتهائه من تسجيل الجنود واستجوابه اياهم اسقط ٦٥٠ رجلا ، كما واسقط وكيله ابو الفتح احمد بن محمد بن المؤمل ٤٠٠ رجل في كرمان . ثم ابعد هؤلاء الرجال من املاكهم ومقاطعاتهم وتركوا ليبحثوا عن عمل جديد . وقد انتقد الروذراوري ، مختصر كتاب هلال الصابي ، هذه الحادثة كلية لما كان لها من عواقب وخيمة على صمصام(٥٩) الدولة ، كما دونت في ادناه صحيفة ٢٢ ـ ٢٤ .

ويبدو محتملا ان بعض الضباط العسكريين من اصحاب الرتب العالية الذين يتكرر ذكرهم مرات عديدة من قبل هلال الصابي بلقب « نقيب نقباء الديلم » كانوا يقومون بواجب الاحتفاظ بسجلات انساب وتواريخ عوائل الجنود ، كما هو الحال الى حد كبير بالنسبة لنقباء العلويين والهاشميين فقد كانت لهم مسئوليات مشابهة بالنسبة لجماعاتهم وطوائفهم الخاصة . ومما يسند هذا الراي حادثة تتعلق بنقيب النقباء في زمن بهاء الدولة فقد قتل هذا من قبل منافسيه لانه كان يعرف كثيرا عن شؤون الديالمة واصولهم وانسابهم(٦٠) .

(٣)

ان حقيقة كون الديالمة جنودا رجالة اصلا اوجدت مشكلة عسكرية لزعمائهم ذلك لانهم ، كما يتضح ، كانوا بحاجة الى

---

(٥٥) يذكر المقدسي ان « للديلم رسوم عجيبة لا يزوجون الى غيرهم » اما الحادثة التي شهدها المقدسي فهي « وكنت في بعض الخانات فاذا بصبية تعدو ورجل شاهر سيفه يعدو خلفها يروم قتلها فقلت : ما فعلت حتى استوجبت القتل . قال : انها زوجت الى غيرنا » (المترجم)

(٥٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٣٩ (ان نص رواية ابن الجوزي هي « ان رستم بن علي كان يظهر التستر ويتميز به عن سلفه ، الا ان في حبالته زيادة على خمسين امراة من الحرائر ولدن ثلاثة وثلاثين نفسا من الذكور والاناث ، وحين رجع اليه في السؤال عن هذه الحال ، وعرف ان من يتجيز مثل هذا العدد يتجاوز كل حد في الاستحلال . ذكر ان هذه العدة من النساء ازواجه وان اولادهن اولاده . وان الرسم الجاري لسلفه في ارتباط الحرائر كان مستمرا على هذه الجملة » . المترجم) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٦٢ ، انظر بوزورث : السياسة الامبراطورية للغزنويين . (مقالة باللغة الانجليزية) صحيفة ٧١ ـ ٧٢ .

(٥٧) دخل الاسلام الديلم عن طريق عدد من الائمة الزيدية وعلى راسهم الحسن بن زيد الاطروش الملقب بالناصر الذي ذهب الى منطقة جرجان وطبرستان في حدود سنة ٢٥٠ هـ فنشر الاسلام والمذهب الزيدي (المترجم).

(٥٨) مسكويه ج ٢ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٢٥٠ ، والنص هو « والبت كل من الديلم الساقطين كل من كان صريحا في الديلم او صريحا في الجبل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم » المترجم).

(٥٩) تجارب ج ٢ ص ٢١٢ ، الترجمة الانجليزية ج٦ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ « الرواية لابي شجاع الروذراوري وليست لهلال الصابي . المترجم » ابن الاثير ج ٩ ص ١٠٠ ـ ١٠١ . انظر ايضا عدم استحسان نظام الملك لمنبة طرد الجنود في كتابه سياسة نامه « فصل ١٢ » ترجمة Darke ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، لان رجالا كهؤلاء ليس لهم تجارة او حرفة عدا حرفة حمل السلاح فلا مفر لهم سيتحولون الى قطاع طرق ومتمردين ، مثل ما وقع فعلا زمن ملكشاه السلجوقي . انظر المجلة الاسيوية (JA) ج ١٠ ص ٧٦ .

(٦٠) مسكويه ج ٢ ص ٢٢١ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٢٤٥ ، انظر ايضا ج ٢ ص ١٩٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ـ ٢٢٥ الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٢٠١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ـ ٢٦٠

فرسان خلال توغلهم عبر الهضبة الايرانية (فيذكر الاصطخري ص ٢٠٥ ان عدد الخيول في منطقة ديلم لم تكن كافية لحاجات المنطقة) . لذا فقد كان الحل لهذه المشكلة اتباع الاتجـــاه العسكري السائد انذاك المتمثل بتجنيد الفرسان الاتراك ، اذ كانت هناك اعداد ضخمة منهم متهيئين للعمل في غربي ايران خلال السنوات الاولى من القرن العاشر الوقت الذي كانت فيه سلطة الخليفة متهافتة والفوضى متزايدة . وما لبث ان اعترف بقية الجنود الديالمة العاديين بهؤلاء الفرسان الاتراك الذين لا يمكن الاستغناء عنهم (انظر في أدناه صحيفة ٢٢ ــ ٢٣) . ففي زمن مبكر كان لدى مرداويج ابن زيار قوة من الغلمان الاتراك ، وكان لمعاملته القاسية لهم المتصفة بالازدراء سببا في مقتله سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥ . ومما يستحق الملاحظة ان هناك توترا قائما بين العناصر الديلمية والتركية في صفوف جيش مرداويج ، فانـه استخدام لديالمة لانزال ضروب التحقير والاذلال بالاتراك(٦١) . وقد انضم قسم من غلمان مرداويج الاتراك بعد موته الى علي بن بويه ، بينما دخل الباقي في خدمة بجكم(٦٢) ، علما بانه كان في جيش علي الخاص جنود اتراك قبل هذاالوقت لورود ذكرحاجب تركي اسمه قطلغ(٦٣) Qutlugh في سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤ . وبعد سنتين من ذلك التاريخ صار في مقدور علي ان يضع تحت تصرف اخيه الصغير احمد قوة مكونه من ١٥٠٠ ديلمي و ٥٠٠ تركي واخرين من اجل غزو عمان(٦٤) .

ولم تمض فترة طويلة حتى بدا الامراء البويهيون يضعون ثقة كبيرة بغلمانهم الاتراك بدلا من رعاياهم الديالمة ، فالغلمان الاتراك العبيد منهم والاحرار كانوا خدم الامراء البويهيـــين الخاصين ويرتبطون بهم من خلال روابط الولاء الفردية . ومن المحتمل ــ على الرغم من عدم وضوح المصادر ــ ان البويهيين بعد مجيئهم الى السلطة ولبعض الوقت بدأوا يفقدون اتصالهـــم برعاياهم الى حد ما . ويحتمل ايضا ان الديالمة انفسهم وجدوا من الصعوبة ان يتكيفوا للمنزلة السامية الجديدة ولابهة الملوك التي حصل عليها امراؤهم . ان نمو مثل هذا الشعور سيشابه التباعد والتنافر التدريجي للسلاطين السلاجقة العظام عـــن مناصـــريهم الاتراك . ومن المؤكد القول بان الامراء البويهيـــين الاوائل لم يتمكنوا من ان يرتفعوا اكثر من اعتبار كل واحد منهم مقدم الاسوياء Primi inter pares بالنســـبة لقوادهم الديالمة . فلقد ذكر ان عماد الدولة لم يكن يشـــعر ابدا بانه في حالة امان بين قواده ، ذلك لانهم جميعا رجـــال طموحون ويفكرون بانهم افضل نسبا وعائلة(٦٥) . وعلى اغلب

(٦١) المسعودي : مروج ج ٩ ص ٢٩ ــ ٣٠ ؛ مسكويه ج ١ ص ١٦١ ، ٢١٠ ــ ٢١٥ ؛ الترجمة الانجليزية ج ٤ ص ١٨٢ ــ ١٨٣ ، ٢٥٠ ــ ٢٥٦ ؛ مجمل التواريخ ص ٣٩٠ ؛ ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢٢ ــ ٢٢٧ .

(٦٢) احد قواد محمد بن رائق ، امير الامراء ، غير انه خرج عليه عندما تضعضع موقفه . ودخل بجكم بغـــداد في سنة ٣٢٧ هـ اذ اصبح اميرا للامراء بدلا من ابن رائق لمدة سنتين من ٣٢٧ ــ ٣٢٩ هـ ؛ المترجم) .

(٦٣) ورد الاسم عند مسكويه على شكل خطلغ وكان لـــه الحجبة ورياسة الجيش . تجـــارب ج١ ص ٣٠٤ (المترجم) .

(٦٤) مسكويه ج ١ ص ٣٠٤ ، ٣٥٣ ؛ الترجمة الانجليزيـــة ج ٤ ص ٢٤٤ ، ٣٦٧ ؛ ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢٦

(٦٥) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٦٢ ؛ انظر ايضا مسكويه ج ٢ ص ١١٥ ؛ الترجمة ج ٥ ص ١١٧ . وفي هذه الرواية يظهر ان معز الدولة قد عانى الكثير من عدم احترام واحتقار احد اقاربه له . (ان الشخص المشار اليه من قبـــل البروفسور بوزورث هو اصفهدوست او اسفهدوست وكان خال معز الدولة . اما الرواية فلقد جاءت علـى صحيفة ١١٤ بدلا من ١١٥ . وكذلك وردت عند ابـــن الاثير ج ٨ ص ٣٦٢ . ونص الرواية كالاتي « كان يكثر الدالة عليه ويقل الهيبة له ، وكان يزدري عليه فـــي كثير افعاله » . المترجم)

(٦٦) امارة الباوندين الاسبهبذية لها جذور قديمة يمكـــن ارجاعها الى زمن الساسانيين . دامت فترة وجودهامن ٤٥ الى ٧٥٠ هـ/٦٦٥ ــ ١٣٤٩ . وكانت تسيطر على طبرستان . انظر مقالة البروفسور بوزورث .
"The Political and Dynastic History of the Iranian World A.D. 1000—1217" in The Cambridge History of Iran, Vol. 5, p. 27—29. (المترجم)

(٦٧) انظر البيروني : الاثار الباقية ص ٢٨ الذي يستشهد بكتاب الماجد لابن السحاق الصابي . كذلك مقالة Marquart. "Der Stammbaum der Bujiden" in Beiträge zur Geschichte und sage Von Eran, ZDMG XLIX (1895), p. 660—661.

(٦٨) مسكويه ج ٢ ص ٩٦ ــ ١٠٠ ؛ الترجمة الانجليزية ج٥ ص ١٠٠ ــ ١٠٥ ؛ ابن الاثير ج ٨ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ؛ انظر امدروز Amedroz : الادارة العباسية في دور تدهورها من كتاب تجارب الامم (بالانجليزية) ص ٨٢٧ ــ ٨٢٨ . « ان الاشارة المقتبسة من مسكويه تقع في صحيفة ١٠٠ . المترجم »

الظن ان ارجاع شجرة انساب العائلة البويهية الى بهرام جور الساساني قد عملت لهم لغرض رفع العائلة وجعلها اســـمى مرتبة من بقية الديالمة ووضعهم على نفس المستوى الذي تميزت به الامارات الايرانية الاخرى كالباوندين (٦٦) Bawandids والساسانيين(٦٧) .

ففي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥ ــ ٩٤٦ حدث تمرد بين صفـــوف جنود معز الدولة الديالمة الامر الذي اجبر الامير لان يتبنى سياسة اصلاحية تجاه المتمردين عن طريق توزيع ضياع عليهم وعلى الاتراك في سواد العراق . وكانت تلك الضيـــاع تخص الخلفاء العباسيين او التي هرب منها مالكوها . ولكنه بعد ذلك اخذ يفضل الاتراك علانية ، وعندما اصبحت الخزينة عاجزة وفارغة فان ارزاق الديالمة هي التي توقفت في الوقت الـذي استمر فيه بمراضاة الاتراك . وقد اشار مسكويه الى هـذه الحالة بقوله « وقادت الضرورة ــ معز الدولة ــ الى ارتبـاط الاتراك وزيادة تقريبهم والاستظهار بهم على الديلم . وبحسب انصراف العناية الى هؤلاء ، ووقوع التقصير في امور اولئـك فسدت النيات ، وفسد الفريقان . اما الاتراك فبالطمع والمراوغة واما الديلم فبالفقر والمسكنة(٦٨)...»

وفي سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦ ــ ٩٥٧ حدث تمرد ديلمي واسـع في شيراز والاحواز واسفل العراق قاده روزبهان بن ونـداذ خورشيد واخواه . وشكل هذا العصيان ازمة مزعجة بالنسبة

لعز الدولة ، ذلك لان ولاء من تبقى من جنوده الديالمة اصبح امرا مشكوكا فيه . اذ انتقل رجال من جيش الوزير عبدالله بن يزيد المهلبي(٦٩) الى جانب المتمردين ، كما فعل الكثيرون الذين كانوا ضمن قوافه الخاصة . وكان باستطاعة معز الدولة ان يحافظ على ولاء الحرس الديالمة في بغداد ويطمئنهم عندما هددها الحمدانيون من الموصل ، كذلك فانه عين حرسا على الطريق وعلى الجسر تلك النقطة الاستراتيجية من اجل ان يمنع الديالمة الذين قد توقف دفع ارزاقهم توا من ان يتركوه وينضموا لروزبهان . وقد تركز اعتماد معز الدولة على جنوده الاتراك في حربه ضد روزبهان ، كذلك على جماعة من الغلمان الصغار وقليل من الديالمة المخلصين . وما ان انتهى من دحر روزبهان حتى قام بطرد جميع اولئك الديالمة الذين سبق ان التحقوا بالمتمردين من جيشه ، وعهد الى المهلبي مسئولية مرافقة الجماعات المطرودة من الجيش الى الحدود تحت حراسة مشددة . ثم رفى جميع الاتراك رتبة او درجة دفعها من الاموال التي تمكن من ادخارها نتيجة للاجراء السابق ، وشجعهم بان يعيبوا على الديالمة عدم اخلاصهم في الولاء وشقهم عصا الطاعة وانهم ادنى منزلة من الاتراك في القتال(٧٠) .

حقيقة ان معز الدولة اوصى ابنه عز الدولة بختيار بمداراة الديالمة (انظر في اعلاه حاشية رقم ٣٣ صحيفة ١٤) ولكنه أوصاه أيضا باعتبار الاتراك النواة الحيوية في جيشه « جمرة عسكره » اذ يستطيع ان يستعملهم اذا ما اقتضت الضرورة ان يعالجوا شغب الديالمة . وفي الواقع — كما لاحظ مسكويه — ان عز الدولة خالف جميع وصايا والده عندما تبوأ السلطة سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧ . فقد نفى كبار الديالمة طمعا باموالهم واقطاعاتهم فكانت النتيجة ان اصبحوا متمردين ومطالبين بدفع ارزاق اضافية لاربعة شهور بمناسبة البيعة وتسلم السلطة ، وباعادة الجنود الديالمة الذين طردوا من قبل معز الدولة الى الخدمة . اما عز الدولة فانه تحصن في قصره مع حرسه الاتراك ، ولكن الوضع تغير اثناء ذلك بتمرد الاتراك. واظهر الديالمة والاتراك جبهة موحدة واتفقوا على عدم معارضة بعضهم مطالب البعض الاخر ، وبذلك ازدادت مشاكل عز الدولة بشكل اكثر . واخيرا اضطر الى ان يستسلم للامر الواقع ويصل الى اتفاق مع الديالمة يتضمن اعطاءهم ثلث الرزقة التي سبق ان وعدهم بها . ان هذه الحادثة تعد وسيلة مناسبة

(٦٩) ابو محمد الحسن بن محمد المهلبي وزير معز الدولة واحد قواده . عينه بعد وفاة الصيمري سنة ٣٣٩ هـ . وقد شارك في عدد من الحملات العسكرية منها الحملة التي ارسلها معز الدولة ضد عمران بن شاهين في البطيحة ، كما انه سار من الاحواز الى البصرة لصد هجوم القرامطة على المدينة سنة ٣٤٠ هـ (المترجم) .

(٧٠) مسكويه ج ٢ ص ١٦٢ — ١٦٦ ، ١٧٢ — ١٧٤ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ١٧٣ — ١٧٨ ، ١٨٦ — ١٨٨ ، ابن الاثير ج ٨ ص ٢٨٥ — ٢٨٧ . (قال مسكويه « فابتدا — معز الدولة — بجازي الاتراك بالاحسان فقود منهم جماعة واستحجب جماعة ونقب جماعة ورفع كل طبقة الى ما هو اعلى منها » . اما فيما يتعلق بتوكيل المهلبي قال مسكويه ما نصه « وكتب الى وزيره المهلبي بجمعهم — الديلم — من جميع النواحي والاعمال ، والتوكيل بهم والسير معهم الى اخر الحدود لينفرقوا حيث شاءوا..» المترجم)

عندما تفشل محاولات الامراء في تحقيق اهدافها في تحريض بعضهم — اي الديالمة والاتراك — ضد البعض الاخر(٧١) .

وبناء عليه فان عز الدولة غير من سياسته في سنة ٣٦٠هـ /٩٧١ بجلب العنصرين المتضادين عنصريا سوية ، وربطهم ببيته وعائلته الخاصة عن طريق روابط المصاهرات . فتزوج احد ابنائه ، مرزبان ، ابنة القائد التركي بختكين ازادرويه ، وتزوج الابن الاخر ، سالار ، ابنة قائد اخر يسمى بكتمور(٧٢)، ثم حدثت مصاهرات اخرى . واقسم على الولاء المتبادل بين الامير عز الدولة وقائده سبكتكين العجمي(٧٣) والزعماء الكبار الاخرين . وبعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ انقلب عز الدولة بشدة ضد الاتراك مما ادى الى اشتعال المنافسة بين الديلم والاتراك في الاحواز وتطورت الى قتال انتشر بعد ذلك الى العراق وهنا التزم سبكتكين قضية الاتراك وصار الى جانبهم ضد الامير عز الدولة ، اما هذا فانه قام بعمل حاسم ضد الاتراك فقبض على رؤسائهم . وفي المقابل احرق قصره في بغداد . تبنى عز الدولة هذه الاجراءات الكابحة ضد مشورة القواد الديالمة الذين اشاروا عليه بانهم بحاجة الى النشابين الاتراك والفرسان الاتراك في الحرب . الا ان عز الدولة اصر على سياسته ، مما جعل الحالة تزداد سوء في العراق بسبب الاتراك ، واضطره هذا الموقف الى البحث عن مساعدة من ابن عمه عضد الدولة صاحب فارس(٧٤) .

وبعد تسلم بهاء الدولة السلطة في بغداد سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩ على اثر موت اخيه شرف الدولة ثارت الضغائن بين الديالمة والاتراك بعنف . وتورط فيها عنصر مهم في سياسة الدولة ، فالديالمة فضلوا عودة صمصام الدولة — الاعمى جزئيا والمعزول عن الامارة — الى السلطة ، وهو الاخ الاخر لبهاء الدولة . فما كان امام بهاء الدولة الا ان يميل الى جانب الاتراك، باعتبارهم الجانب العسكري الاقوى والاكثر اخلاصا في ولائه . لهذا فانه ليس من الغرابة ان يصدر صمصام الدولة في سنة ٣٨٥ هـ /٩٩٥ — بعد ان استعاد سلطته في بلاد فارس — اوامره بقتل جماعي للاتراك هناك . وقتل الكثير منهم في شيراز Shiraz بينما هرب من تبقى منهم الى كرمان ثم الى بلاد السند(٧٥) . غير ان نتائج سياسة عدم الموازنة في تركيب تاييد صمصام الدولة العسكري ما فتئت ان اثبتت فسادها . فالديالمة ، اصحاب النفوذ ، صاروا جشعين ومتعاظمين اكثر فاكثر في الوقت الذي اخذت فيه مصادر صمصام الدولة في توزيع الاقطاعات تتناقص شيئا فشيئا . لذلك فان الجنود الديالمة الذين طردوا في العرض الذي جرى في سنة

(٧١) تجارب ج ٢ ص ٢٢٤ — ٢٢٧ ، الترجمة الانجليزية ج٥ ص ٢٤٨ — ٢٥١ ، ابن الاثير ج ٨ ص ٤٢٦ .

(٧٢) جاء الاسم عند مسكويه على شكل بكتجور انظر ج ٢ ص ٢٨٢ (المترجم) .

(٧٣) يذكر عند مسكويه على شكل سبكتكين الحاجب ، وجاء لقب العجمي في ج ٢ ص ٢٤٧ (المترجم) .

(٧٤) مسكويه ج٢ ص ٢٨٢—٢٨٣ ، ٢٢٢ وما بعدها ؛ الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٣٠٢ — ٣٠٣ ، ٢٤٩ وما بعدها ، ابن الاثير ج ٨ ص ٤٦٦ — ٤٦٨ ، ٤٧٦ — ٤٧٧ .

(٧٥) هلال الصابي في التجارب ج ٣ ص ١٥٨ ، ٢٦٤ — ٢٦٥ (الرواية لابي شجاع الروذراوري وليست لهلال المترجم) ابن الاثير ج ٩ ص ٤٣ — ٤٤ ، ٧٨ .

٩٦٨/٣٥٨ « انظر في اعلاه صحيفة ١٧ ـ ٢١ » التحقوا بابني عز الدولة اللذين نجحا في الافلات من الاسر واعلنا العصيان على صمصام الدولة ثم عزلاه وقتلاه(٧٦) . وفي الاخير اعلن الديالمة من قبل ابي علي الحسن بن استاذ(٧٧) هرمز في التوصل الى سلام مع بهاء الدولة ، وكان انئذ صاحب الولايات المتحدة المكونة من العراق والاحواز وفارس وكرمان ، بان يعاد دخولهم الى خدمته مرة اخرى ، وان تحسم نزاعاتهم مع الاتراك ، وان توزع عليهم الاقطاعات ، وان تؤخذ منهم عهود الامان والمسالمة . ثم استطاع ابو علي اسماعيل الموفق ، وزير بهاء الدولة ، وابو علي الحسين الرخجي ، الذي اصبح وزيرا فيما بعد ، التوصل الى اعادة توزيع الاقطاعات في الاهواز بصورة صحيحة . وحينما وصل جيش الامير الى بلاد فارس اعاد الوزير تنظيم اقطاعات الديالمة هناك ايضا(٧٨) .

من المحتمل ان للاتجاهات الدينية دورا في المنافسة بين العنصرين التركي والديلمي اللذين احتوتهما الجيوش البويهية. فالديالمة كانوا شيعة بينما كان الاتراك بصورة عامة سنة ، مع انه اعتمادا على مسكويه في التجارب (ج ٢ ص ٢٤٧ ، الترجمة الانجليزية ج٥ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ، وابن الاثير ج ٨ ص ٤٢١) فان القائد سبكتكين العجمي كان ذا ميول شيعية وانه في احدى المناسبات مال لاتباع دجال مشهور ادعى من بين الامور inter alia انه علوي والمهدي(٧٩) المنتظر . فقد مال الشيعة الى الديالمة وطلبوا منهم المساعدة والتأييد خلال النزاع الاهلي والديني المستمر في بغداد ، بينما اتجه السنة الى الاتراك(٨٠) . وان استيلاء البويهيين على السلطة السياسية في العراق والقسم الغربي من ايران ومعاملتهم المتعجرفة للخلفاء العباسيين قد هيجت المشاعر الدينية في العالم الاسلامي الشرقي ، فانارت عداوة خاصة من خراسان المنطقة الارثوذكسية الرئيسة . وظهر مثل هذا الشعور في حادثة وقعت سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦ عندما اضطر ركن الدولة صاحب الري والجبال الى كبح هجوم قام به غزاة متحمسون من خراسان وترانسكسونيا ـ التي تتاخم في الظاهر انضاضوليا ـ حيث كان البيزنطيون قد اخذوا زمام المبادرة في مهاجمة المسلمين. ولكنه ما ان وصل الغزاة الري حتى اخذوا يسبون الديالمة ويشتمونهم ويصمونهم بالكفر . وقد دخلت جماعة منهم المدينة يكبرون كانهم يقاتلون الكفار ، وبعدها شرعوا بقتل كل فرد وجدوه بزي ديلمي ويقولون عنهم انهم رافضة(٨١) . كما انه عندما انتزع محمود صاحب غزنه ، الري من ديالمة مجد الدولة اعلن بفخر انه « طهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة »(٨٢) .

لم صار الامراء البويهيون يعتمدون كثيرا على جنودهم الاتراك ؟ لقد سبق ان اقترح كاهين في مقالة « البويهيون » المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية ـ طبعة جديدة ـ ان من بين اسباب ذلك هو ان امداد الجنود المرتزقة الديالمة اخذ ينضب بصورة مستمرة . ويحتمل ان هناك تحولا واضحا بالنسبة لوجهة النظر السابقة ، اذ لم تكن اعداد الديالمة المستخدمين في الجيوش البويهية تبدو دائما كبيرة(٨٣) (ومع هذا انظر الرقم المرتفع ١٩٠٠٠ الموجود في ادناه) .

ومع ذلك فانه من الواضح ان امداد الجنود الديالمة استمر حتى القرن الحادي عشر على مستوى هام . اذ يدل وصف هلال الصابي لعرض الجنود الديالمة في كرمان الذي جرى سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩ على انهم ما زالوا يتزايدون باستمرار . فالصابي يتحدث عن المرتبات والعلاوات التي كانت تدفع

---

(٧٦) هلال في التجارب ج ٢ ص ٢١١ ـ ٢١٥ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٧ (الاشارة لابي شجاع الروذراوري اذ ذكر عدد الذين اسقطوا بـ ٦٥٠ رجلا . اما اسماء ابني بختيار فهما : ابو القاسم اسبام وابو نصر شهفيروز . المترجم) .

(٧٧) كان في بداية الامر قائد صمصام الدولة القدير ، بعدما استسلم الى بهاء الدولة ودخل خدمته . وعينه اولا واليا على الاحواز ومنحه لقب عميد الجيوش ثم جعله حاكما على العراق سنة ٣٩٢ . المترجم * .

(٧٨) هلال في التجارب ج٢ ص ٢١٩ ـ ٢٢١ ، ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٢٤٢ ، ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٣ * ترجع تلك الاشارات لابي شجاع الروذراوري . المترجم * ، ابن الاثير ج ٩ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٧٩) « مما يجدر بالاشارة ان البروفسور اوضح ان هناك دجالا قد اتبعه سبكتكين . بينما تذهب رواية كل من مسكويه وابن الاثير الى انه في سنة ٣٥٧هـ ظهرت دعوة في بغداد بين الخاص والعام الى محمد بن عبدالله من اهل البيت وهو الذي وعد به الرسول (ص) وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وكان سبكتكين من جملة من بايعه اذ كان يتشيع . انظر تجارب ج٢ ص ٢٤٧ ، الكامل ج٨ ص ٤٣١ . المترجم * .

(٨٠) مسكويه ج ٢ ص ٢٢٨ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٢٥٥ ، ابن الاثير ج ٨ ص ٤٦٨ .

(٨١) مسكويه ج٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٨ ، ابن الجوزي ج ٧ ص ٢٢ ـ ٢٤ ، ابن الاثير ج٨ ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ .

(٨٢) ابن الجوزي ج ٨ ص ٢٨ ـ ٢٩ * النص موجود في ص ٢٨ . المترجم * . انظر بوزورث : السياسة الامبراطورية للغزنويين (مقالة بالانجليزية) ص ٧٠ .

(٨٣) يقدم مسكويه وهلال في عدد من الحالات اعداد الجيوش المشتركة في الغزوات والحروب ، نذكر بعضها كامثلة. فقد احتوت القوات المتحدة للقائد السامي ابن علي بن محتاج والاخوين البويهيين ، علي والحسن ، التي حاربت وشمكير بن زيار سنة ٩٤١/٣٢٩ على : ٧٠٠٠ ديلمي وجيلاني بالاضافة الى الاعراب والاتراك . وكان شمس قوات بجكم (١٥٠٠)ديلمي. وعندما قدم شرف الدولة بغداد سنة ٣٧٦ هـ /٩٨٧ جمع قوة مؤلفة من (١٩٠٠) ديلمي وكان هؤلاء في جيشه الخاص ، يضاف اليهم اولئك الذين كانوا في بغداد ، و (٣٠٠٠) من الاتراك (لا يبدو ان رقم (١٩٠٠٠) المرتفع يشير الى نقص في اعداد الجنود الديالمة في نهاية القرن العاشر) . والجيش الذي ارسل الى الاحواز في السنة ذاتها (٣٧٦) من قبل فخر الدولة لصد هجوم قام به بهاء الدولة كان يضم (٣٠٠٠) من ديالمة الخاصين ويضاف اليهم (٤٠٠٠) من اكراد حليفه بدر بن حسنويه وجماعة من الاعراب . انظر مسكويه ج٢ ص ٥ ، ١١ ـ ١٢ ، ١٣ ، ج ٣ ص ١٣٢ ، ١٦٩ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٤ ، ١١ ـ ١٢ ، ١٣ ج ٦ ص ١٣٧ ، ١٧٧ ـ ١٧٨ .

« للعجم الذين يردون من بلاد الديلم(٨٤) » . وقد ظل استخدام الديالمة واضحا للعيان في جيوش البويهيين المتاخرين، وان عدم كفاية مجد الدولة في السيطرة على الاعداد الضخمة من الجنود الديالمة في عاصمته الري هي التي دفعته ان يتخذ خطوة غير سليمة باستدعاء محمود صاحب غزنة . زيادة على هذا فان تغلغل الديالمة المرتزقة ظل سائدا في جيوش الامراء الاخرين حتى فترة طويلة . فامارة العقيليين العربية في الموصل واواسط العراق اضافت الديالمة الى اعرابها(٨٥) . وكان لدى كل من محمود الغزنوي ومسعود قوة من الديالمة خلال فترة حكمهما (التي امتدت من سنة ٣٨٨ الى ٤٣٢هـ/٩٩٨ – ١٠٤١) وكان لقوادهم خطوة كبيرة . وكان من بين هؤلاء الجنود جماعة تقدر من خمسين الى ستين جنديا هم الصفوة والنخبة الممتازة ، يحملون اترسا مذهبة او مرصعة بالجواهر ويستعملونها في المناسبات(٨٦) . كما ان هناك فصيلة من الرجالة الديالمة في خدمة الفاطميين . فالرحالة ناصر خسرو كان في القاهرة في بداية حكم المستنصر(٨٧) (٤٢٧ – ١٠٣٦/٤٨٧ – ١٠٩٤) اذ راى ٣٠٠ ديلمي بمزاريقهم (جوبينات) وفؤوسهم الحربية يرافقون الخليفة بمناسبة مسيره الى النيل . وهناك محلة خاصة للديلم في القاهرة(٨٨) . وكان للديالمة مكان في جيوش السلاجقة المتعددة الجنسيات ، وقد امتدحهم نظام الملك . فاوصى بضرورة تواجد قوة منتقاة من الديالمة (مفردان mufradan) لغرض الخدمة في البلاط ، كذلك ينبغي ان يتضمن الجيش بوجه عام العنصر الديلمي(٨٩) ألمهم . كما نجد جنودا ديالمة في فترة متاخرة كالعقد الثامن من القرن الثاني عشر في جيوش ارسلان شاه بن طغرل شاه واخيه ومنافسه بهرام شاه ، وهم امراء سلاجقة كرمان . وكان للديالمة في كرمان خلال هذه الفترة اقطاعات واسعة ووظائف ادارية عالية كولاة على مدن او مراكز مهمة(٩٠) .

(٤)

لقد شكلت قضية مدفوعات الجنود قلقا مستمرا للامراء البويهيين . فالاراضي التي استولوا عليها في العراق وغربي ايران كانت قد ازدهرت بصورة متزايدة عندما كان الخلفاء العباسيون في اوج عزهم ، وورث الامراء البويهيون الماكنة الادارية المعقدة لهذه المناطق سوية مع الاشخاص الذين كانوا يديرونها . وقد استغلت هذه المصادر استغلالا مناسبا ، وطورت بشكل ينبغي من ورائها سد احتياجات البويهيين العسكرية . ولكن العائق يكمن في مواقف الامراء البويهيين انفسهم المتمثل في عدم كفايتهم النسبية في تغيير طبيعتهم من مغامرين عسكريين الى حكام لدويلات مستقرة . يستشهد مسكويه بالوزير العظيم ابن العميد(٩١) بانه لم يكن باستطاعته ان يقوم باصلاحات مرغوبة لان سيده ركن الدولة – على الرغم من انه ارفع منزلة في كثير من النواحي من الديالمة المتسمين بالخشونة – لم يزل بمستوى نهاب ، وغير مكترث لمصالح الرعية وللاقتصاد ذي الامد الطويل ولا للمصالح الاجتماعية في مناطق نفوذه . ان جل اهتمامه كان منصبا في المحافظة على انتظام دفع ارزاق جنوده وجعلهم مكتفين(٩٢) . وكان اتجاه الـ Raubwirtschaft (٩٣) سائدا عند الحمدانيين ، جيران البويهيين من ناحية الغرب (علما بانه اقل سيادة عند السامانيين جيرانهم من ناحية الشرق) ، وكان هذا الاتجاه السبب في ظهور الكثير من الاضطراب السياسي والعسكري في الفترة البويهية ، والى حد ما فان عضد الدولة وفخر الدولة هما الوحيدان اللذان شذا عن هذا الاتجاه .

---

(٨٤) تجارب ج ٢ ص ٢٦٢ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٢٨٩

(٨٥) هلال في التجارب ج ٢ ص ٣٠٠ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٣٢٠ « الاشارة لابي شجاع الروذراوري . المترجم » وفي الرواية يشير الى الجنود الديالمة والاكراد الذين كانوا في خدمة حسام الدولة ابي حسان المقلد بن المسيب سنة ٣٨٧/٩٩٧ . انظر امدروز « ثلاث سنوات من حكم البويهيين في بغداد من سنة ٣٨٩ – ٣٩٢ هـ » (بالانجليزية) ص ٧٥٠ وما بعدها .

(٨٦) البيهقي : تاريخ مسعودي . تحقيق غني وفياض ، طهران ١٣٢٤/١٩٤٥ ، ص ٢٨٨ . انظر بوزورث : التنظيم العسكري عند الغزنويين (بالانجليزية) ص ٥٥ – ٥٦ .

(٨٧) تعد فترة خلافة ابي تميم معد بن الظاهر المستنصر من اطول فترات الخلافة الفاطمية في مصر اذ بلغت عشرين سنة . ولعتبر من الفترات المهمة في شتى النواحي ، فامتدت سلطة الفاطميين فيها على بلاد الشام والحجاز وشمالي افريقيا والموصل وبغداد . وانتعشت الحياة الاقتصادية وعم الرخاء في مصر خاصة خلال القسم الاول من خلافته « المترجم » .

(٨٨) سفرنامه ، تحقيق . ام . دي . سياقي (طهران ١٣٣٥/١٩٥٦) ص ٦١ ، ٦٣ (يعتقد ان المؤلف يشير الى اشهر عيد في مصر وهو عيد وكوب لنيل الخليج . يقول ناصر خسرو « واعانه – الخليفة – للنمالة راجل عليهم ثياب رومية مذهبة ، وقد حزموا خصورهم واكمامهم واسعة ... ومعهم النشاب والسهام وقد عصبوا سبقانهم » انظر سفرنامه : ترجمة د . يحيى الخشاب ، بيروت ١٩٧٠ ، صفحات ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٩ . المترجم) .

(٨٩) سياسة نامه ، ترجمة Darke (فصول ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥) صفحات ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٩٠) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، تحقيق هوتسما ، ليدن ١٨٨٦ ، صفحات ٤٣ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٨١ .

(٩١) ابو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة المشهور ، ويسميه مسكويه (الاستاذ الرئيس) . وكان وزيرا قديرا وقال عنه مسكويه « فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد وزارة الامير ركن الدولة استقام الامر ... وضبط اعماله ونظم اموره ورتب اسباب خدمته حتى كان اكثر نهاره مشغولا بالعلم واهله » تجارب ج ٢ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ « المترجم » .

(٩٢) تجارب ج ٢ ص ٢٧٩ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٢٩٨ – ٢٩٩ « قال مسكويه فيما يتعلق بصفات ركن الدولة انه (كان على طريقة الجند المتغلبين) وانه (لا يرى النظر في عواقب امره وعواقب امور رعيته) ص ٢٧٩ . المترجم » .

(٩٣) تعني هذه الكلمة حرفيا « الاقتصاد المبني على السرقة » (المترجم) .

انشأ البويهيون نظاما لدفع ارزاق جنودهم يرتكز على منح الاقطاعات ، وفيه يخصص للمقطع مقدار من حاصل خراج الضيعة او المنطقة . ولم يقطن المقطع في الموضع ، وعادة كان المقطع جنديا او موظفا يقوم بواجباته وعلى هذا فانه لا يستطيع الاستقرار في ذلك المكان بل يرسل وكيلا عنه لجمع هذا الحاصل. كما ان المقطع لا يملك اي حقوق قانونية من الناحية النظرية ، مع العلم بان نمو التلجئة(٩٤) ـ التي تطابق الـ Commendatio في العصور الوسطى الاوربية ـ اعطته حقوقا مهمة تتمثل بالحماية ولم يقتصر استعمال الاقطاعات لدفع ارزاق الجنود فقط بل وايضا ـ كما تقدم ذكره ضمنيا في انفاه ـ لمساعدة الموظفين المدنيين . لهذا ابقى عز الدولة على وزير والده الكبير ابي الفضل عباس بن الحسين الشيرازي في منصبه ، واقطعه في سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨ اقطاعا تبلغ قيمته ٥٠٠،٠٠٠ دينار . وكان هذا هو الاجر الاعتيادي الذي كان يخصص لمنصب الوزير(٩٥) .

اما فيما يتعلق بحجم الاقطاع وقيمته فان المرء باستطاعته فقط ان يبدي الملاحظة المعروفة وهي ان الاقطاعات الكائنة في الاراضي الخصبة التي تروى في العراق والاحواز تكون اقل انتاجا من تلك الموجودة على الهضبة الايرانية . فمما يذكر انه عندما غزا فخر الدولة صاحب الري ابن اخيه بهاء الدولة صاحب الاحواز سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩ اخذ قواده الديالمة يحسدون ويحقدون على القواد الديالمة في الاحواز ، اذ قارنوا بين اقطاعات هؤلاء التي تراوحت قيمتها من ٢٠٠،٠٠٠ الى ٣٠٠،٠٠٠ درهم وبين اقطاعاتهم البسيطة في الجبال والري التي تبلغ قيمتها عشر قيمة تلك الاقطاعات . ومع ذلك فالديالمة الذين سبق ان اقاموا في كرمان لمدة من الوقت قد جمعوا في حدود سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠ اقطاعات قيمتها اكثر من نصف مليون درهم على الرغم من ان منطقة كرمان لم تكن كثيرة الخصوبة . ومما يجدر التنويه به ان تلك الزيادات الكثيرة في الضياع قد قللت في مناسبة اعادة تقسيم الاقطاعات التي اقيمت في كرمان في تلك الفترة(٩٦) .

اخذ نظام الاقطاع عند البويهيين من تجربة قديمة كانت في بلدان الخلافة الوسطى ، غير انه ـ وهذا مما اعطى اهمية للفترة ـ شاع خلال الفترة البويهية في تلك المناطق . لقد عرض البروفسور كاهين اتجاهات هذه الفترة باسهاب في مقالته « تطور الاقطاع من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر » (باللغة الفرنسية تحت عنوان
"L'evolution de L'iqta' du IX e au XIII e siècle" p. 30)
ثم درست البروفسورة لامبتون A.K.S. Lambton الاقطاع بصورة مختصرة في كتابها الموسوم Landlord and Peasant in Persia

(٩٤) هناك وصف جيد عن تطور التلجئة في رواية لمسكويه ، وتتعلق هذه الرواية بجنود ممن الدولة الاتراك في اعمال البصرة وواسط والاهواز خلال سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨ ـ ٩٥٩ . انظر ج ٢ ص ١٧٢ ـ ١٧٤ .

(٩٥) تجارب ج ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٢٥٦ (قال مسكويه « واقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار على رسم الوزراء . » المترجم) .

(٩٦) هلال في التجارب ج ٢ ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ، ٢٦٢ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ١٧٢ ـ ١٧٤ ، ٢٩٠ . انظر ملحقة ٣٤ ـ ٣٥ من المقالة « الرواية لابي الروذراوري المترجم » .

اي صاحب الاقطاع والفلاح في ايران ص ٥٠ ـ ٥١)(٩٧) ان البروفسوره لامبتون تذكر مصادر مختلفة تصف الطبيعة التصفية والمتقلبة لنظام الحكم البويهي في الريف الايراني المتمثلة بالمصادرات والبيع الاجباري الذي كان ضروريا للحصول على ارض من اجل اقطاعها للجند . يخبرنا المقدسي (ص ٢٩٩ ـ ٤٠٠) خلال حديثه عن الري والجبال كيف جرد ديالة ركن الدولة حين دخولهم تلك المناطق الاهالي من بيوتهم وضياعهم ، وكيف اجبروا الكثير منهم على الهجرة . وفي الفترة التي كتب فيها المقدسي كتابه (اي سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥ خلال حكم فخر الدولة) كان تصرف الديالة افضل . وذكر احمد بن ابي الخيزركوب في كتاب شيرازنامه(٩٨) (Shiraz-nama)
ان القسوة والاضطراب ادنا الى التخلي عن كثير من الاراضي وتحويلها من الملك الخاص الى اراضي الدولة (ديواني) كما جاء في تاريخ قم للحسن بن محمد القمي انه عندما قدم الديالة والجيلانيون قم اهمل دبواني اب (Diwani-i Ab)
الذي كان ينظم نظام الري هناك ، واقيمت الاقطاعات(٩٩) ، « ومع ذلك فانه في المصدر ذاته ابديت ملاحظة في صالح الحكم البويهي في الجبال (انظر ص ٤٢) ، فقد قام كل من مؤيد الدولة ووزيره الصاحب اسماعيل بن عباد في سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠ ـ ٩٨١ باعمال كثيرة تهدف الى اصلاح القنوات في قم(١٠٠) عن طريق جلب عمال مهرة في حفر القنوات ، كما انهما انفقا اموالا طائلة » .

ويصف البروفسور كاهين في مقاله « تطور الاقطاع ص ٣٦ ـ ٣٧ » النظام الاداري عند البويهيين على انه نظام يدور في مدار حاجات الجيش . فالدوائر المالية القديمة « اعتقد ان المؤلف يشير بهذا الى الدواوين » بقيت على حالها غير ان دورها وفعاليتها تناقصت كثيرا . ان رواية مسكويه المتعلقة بخراب سواد العراق نتيجة لتوزيعه على شكل اقطاعات ، وما ادى ذلك من انحطاط للدوائر المالية في بغداد بسبب عدم وصول الايرادات الى تلك الدوائر « الدواوين . المترجم » رواية معروفة جدا . فعندما واجه معز الدولة ثوران عسكرية نتيجة لتاخر ارزاق الجند اضطر الى مصادرة الضياع العائدة للخلفاء وتلك التي تعود ملكيتها للافراد ثم منحها على شكل اقطاعات . وقد صارت هذه الاراضي موضوعا لنزاعات كثيرة : فالجنود كانوا يرغبون بتبديل الاقطاعات بينما اهملت التدابير الضرورية

(٩٧) لعله من المفيد ان نضيف الى كتاب البروفسورة لامبتون مقالتها (بالانجليزية) المتعلقة بالاقطاع ايضا وهي Reflections on the Iqta' ، اراء في الاقطاع نشرت في مجلة Arabic and Islamic Studies in honour of H.A.R. Gibb (1965). pp. 358—76.
وهي مقالة مفيدة للتعرف على مجالات عديدة من هذا الموضوع « المترجم » .

(٩٨) تحقيق بي . كريمي ، طهران ١٣١٥/١٩٣٦ ـ ١٩٣٢ ، ص ٢٦ .

(٩٩) تاريخ قم ، تحقيق جلال الدين تهراني (طهران ١٣١٣/١٩٢٤) ص ٥٢ .

(١٠٠) تقع الى شمال قاشان وهي مشهورة بالبساتين والاشجار الفستق والبندق ولها سور كبير ، ولها واد يجري فيه الماء . وهي مشهورة الان عند الشيعة . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٤٥ « المترجم » .

لانعاش الريف وارخائه كمثل فتح طريق او تحسين السري . ثم ان معز الدولة لم يتمكن من ان يدخر اموالا نقدية احتياطيه نفيده وقت الحاجة ـ كالاحتياطي الذي دافع عن ضرورة وجوده نظام الملك في سياسة نامه فصل ١٩ ص ٢٤٦ ـ لذلك ما كان عليه الا ان يعيش ليومه دون حساب المستقبل to live from hand to mouth متجنبا الحاجات جنوده عن طريق القيام بمصادرات جديدة للضياع واقطاعها لهم(١٠١) . ومع كل هذا فان معز الدولة استطاع الى حد ما ان يخلف بعد موته مبلغا معتدلا يقدر بـ ٠٠٠,٠٠٠ درهما . ذلك المبلغ الذي بدده ابنه عز الدولة بسرعة(١٠٢) .

ويبين البروفسور كاهين بانه نتيجة لهذه الاتجاهات والاجراءات تطور ديوان الجيش بحيث جعل الدواوين الاخرى تظهر اقل اهمية . فلم يقتصر عمله على الشئون العسكرية كتنظيم العساكر وتجهيزاتهم وارزاقهم بل وايضا على الامور المالية البحتة . فكان يوزع الاقطاعات ويحددها ويخططها ويقدر نسبة الدخل (العبره) من تلك الاقطاعات(١٠٣) .

اخذ البويهيون ديوان الجيش من الادارة العباسية ، ولدينا دراسة ممتازة عن الديوان العباسي كتبها هونربـــاخ W. Honerbach الموسومة بـ Zur Heeresverwaltung der 'Abbasiden. Studie über Abulfarag Qudama: Diwan al-gais. (١٠٤)

يصف هونرباخ ديوان الجيش على انه كان في فترة حكم المقتدر (٢٩٥ ـ ٩٠٨/٣٢٠ ـ ٩٣٢) وذلك باعتماده على مادة مـــن كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ، بلحقها بمادة اخرى من كتاب الوزراء لهلال الصابي ومصادر اخرى . وبعد ان يقدم هونرباخ ملخصا عاما لتاريخ الديوان خلال الفترات الاسلامية الاولـــى يلخص المعلومات الواردة في كتاب قدامة تحت ثلاثة عناوين بارزة هي (١) اجراءات التسجيل والتجنيد (٢) تنظيم الوحـــدات العسكرية المركبة للجيش (٣) ترتيبات دفع الارزاق . ولقد آلت معظم الاجراءات التي فصلت في أعلاه الى البويهيين بعد عدة عقود. ومع ان المجال هنا لا يتسع لدراسة مفصلة لسياسة البويهيين المالية المتعلقة بالضرائب ، فاننا سوف نتفحص عددا من الوجهات العسكرية الدقيقة لديوان الجيش عند البويهيين .

يترأس الديوان عارض الجيش ، وكان مهتما بتجنيـــد الجنود وتسجيلهم في السجلات (الجرائد) ، كذلك بمعداتهم وتجهيزاتهم واستعداداتهم العسكرية وتوزيع ارزاقهم . وكان في فترة حكم كل من عضد الدولة وبهاء الدولة ـ وهي الفترة التي بلغ فيها رقي الدولة البويهية اوجه ـ عارضان منفصلان عن بعضهما ، واحد منهم للديالمة والاخر للاتراك والاكراد والاعراب (غالبا ما كان للبويهيين فرق كردية وبدوية ، وفي بعض الاحيان جندوا الزط من بـــلاد فارس والقفـــص Qufics من بلوجستان)(١٠٥) . ونتيجة لهذه الازدواجية فان المرء يواجه في المصادر استعمال ديوان الجيشين(١٠٦) . لقد ورد ذكر اسماء عارضي عضد الدولة على انهما ابو الحسن علي بـن عمارة وابو عبدالله الحسين بن سعدان (الذي اصبح اول وزير لصمصام الدولة فيما بعد) . وكان الامير يستقبلهما كل صباح بعد رؤيته الوزير مباشرة ، مما يشير الى الاهمية التـــي علقت بهما(١٠٧) . اما اسماء عارضي بهاء الدولة فقد ذكرهما مسكويه(١٠٨) ايضا . كان العارض غالبا ما يرافق الامير البويهي، ويترأس العروض الدورية للجيوش (عروض مفردها عرض) .

---

(١٠١) تجارب ج ٢ ص ٩٦ ـ ٩٩ ، الترجمة ج ٥ ص ١٠٠ ـ ١٠٤ ، ابن الاثير ج ٨ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(١٠٢) تجارب ج ٢ ص ٢٣٨ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٢٥٣

تام امدروز بترجمة القطعة المتعلقه باعمال السواد الموجودة في كتاب مسكويه في مقالته « الادارة العباسية في فترة انحطاطها ، من تجارب الامم » (بالانجليزية) ومرفقة بتعقيب يشرح فيه امدروز العديد مـــن الاصطلاحات الفنية المستعملة بذلك الكتاب . كذلـــك انظر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي وبشكل خـاص الفصل الاول من الباب الرابع ص ٥٤ ـ ٧٠ ، اذ يلقي ضوءا اخر يتعلق بعمل الدواوين في القرن العاشر ، وكذلك على المفردات الفنية المستعملة في الدواوين ، التي بتدرن تدريج دائبة بصبح الكثير مما اورده هـلال ومسكويه صعب الفهم (بعد صاحب المقالة ترجمـة وتعليقا على هذا الباب المتعلق بالكتابة) . اما بالنسبة للمؤلفات الثانوية فانه من الممكن الاشارة الى مقالتي « ديوان » المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) القسم الاول المتعلق (بالخلافة) بقلم د . عبدالعزيز الدوري ، و « دفتر » في نفس دائرة المعارف الاسلامية بقلم البروفسور برنارد لويس ، ادم متز : الحضارة الاســـلامية (بالالمانية) ص ٧٦ ـ ١٣١ ، الفصول المتعلقة بالادارة ، والوزير ، والمالية ، كذلك انظر مقالة هنز : بالالمانية) المنشورة في مجلة الاسلام Der Islam مجلة ٢٩ (١٩٥٠) الموسومة بـ :

W. Hinz: "Das Rechnungswesen orientalischer Reichsfinanzmter im Mittelalter. p. 113 ff.

« مقالة هونرباخ المذكورة في ادناه .

(١٠٣) انظر كاهين مقالة : تطور الاقطاع ص ٢٦ ـ ٣٧ .

(١٠٤) وتعني ادارة الجيش عند العباسيين : دراسة حول ديوان الجيش لابي الفرج قدامة « المترجم » .

(١٠٥) انظر تجارب ج ٢ ص ٢٦٨ ، ج ٣ ص ٢٤٨ ، ٢٥١ (ورد لفظ الرجاله الكوج) صحيفة ٢٧٨ ، ابن الاثير ج ٩ ص ١١٥ .

(١٠٦) انظر مسكويه ج ٢ ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ، الترجمـــة الانجليزية ج ٦ ص ٤٧١ « الرواية ليست لمسكويه وانما لهلال الصابي في قطعة من تاريخه الموجودة في ذيـــل تجارب الامم . المترجم »

(١٠٧) هلال في التجارب ج ٣ ص ٤٠ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ١٩٨ « الرواية لابي شجاع الروذراوري وليست لهلال الصابي . المترجم »

(١٠٨) مسكويه ج ٣ ص ١٨٧ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ١٩٨ « الاشارة ينبغي ان تكون لابي شجاع الروذراوري وليست لمسكويه اما الاسماء فهما : ابو الفضل محمد بن احمد عارض الديلم ، وعلي بن احمد عارض الاتراك . المترجم »

وفي كتاب الوزراء لهلال الصابي(١٠٩) وصف مفصل لعرض بصورته الاسلامية القديمة تراسه الخليفة العباسي المقتفي شخصيا ، وقد اشير في هذا الوصف الى جميع السمات الجوهرية للعرض البويهي . يجري في هذه العروض تفتيش الكفاية العسكرية ، والاسلحة والمعدات والدواب ، وفيه يفرز الرجال الذين دون المستوى .

ولما كان التسجيل في سجلات الديوان يمنح حق تسلم الارزاق وامتيازات اخرى ، فان الاهالي قاموا بمساع متكررة من اجل ضمان مكان لهم في تلك القيود او السجلات . ان اخراج هؤلاء الدخلاء كان من اختصاصات العارض المهمة ، اذ يؤكد قدامة على الحاجة الى كشف دقيق فيه صفات السيماء والصفات المتميزة للجنود ، ويسميها (حلي الرجال) ، وتفيد هذه لاغراض متعلقة بالهوية(١١٠) . ويستدل من السجلات خلال التفتيش اسم المحتال ، وقد اصطلح على هذا العمل اصطلاحا فنيا هو وضع او اسقاط في مقابل اثبات(١١١) . ومما يبدو ان الاهالي يواصلون سعيهم لفترة طويلة كي يحصلوا على مكان في السجلات . ففي سنة ٣٢٥هـ/٩٣٥ قام محمد بن رائق ، امير الامراء ، بتفتيش الجنود الحجرية النابعين للخليفة في واسط ، فكانت نتيجة هذا التفتيش ان اسقط الكثير من العناصر الدخيلة : وانقص عدد خلفاء حجاب القصر من ٥٠٠ الى ٦٠ ، وافرز « الدخلاء والبدلاء والنساء والتجار ومن لجأ اليهم » مما ادى الى حدوث شغب(١١٢) . ويذكر التنوخي في نشوار المحاضرة قصة ممتعة تتعلق بشخص من الاهواز تعلم اللغة الديلمية وصير نفسه مطلعا على طوبوغرافية منطقة الديلم ، وكان ياكل بشكل خاص كمية كبيرة من الثوم ، ثم اتخذ اسما جيلانيا ، واشترى معدات عسكرية مناسبة . ولما تعرض لظروف قاسية دخل في قوات ابي القاسم البريدي على انه ديلمي في الاصل . وظل عدة سنوات قبل ان يكتشف امره(١١٣) . لقد ارتبطت هذه البواعث المالية من وراء البحث عن الدخلاء بالرغبة على المحافظة على نقاوة النسب بين الديالمة والجيلانيين كما بينا في اعلاه صحيفة ١٥ ـ ١٨ .

يظهر ان سلسلة القيادة في الجيش البويهي ، خلال فترة معز الدولة وعز الدولة على الاقل ، كانت من نقيب الى قائد ثم الى حاجب (١١٤) . ويلقب القائد العام بلقب اسپهسالار Ispahsalar .

لدينا وصف جيد لعرض بويهي جرى في كرمان سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠ باشراف عمدة الدولة ابي علي بن اسماعيل الوفق وزير بهاء الدولة . وكان الهدف من ورائه تهيئة سجل جديد ، وتسلم الاقطاعات التي يحوزة جميع الديالمة واعطائهم عطاءا وتسييبات في الحال(١١٥) « يوضح المؤلف التسييبات على انها تعويضات تستند على مصادر خاصة من الضرائب » . ومنذ هذه الفترة فصاعدا صارت هذه هي الطريقة المتبعة في دفع ارزاق المجندين الدياله الجدد . في العرض الحقيقي ، يصطف الجيش للعرض ويقف القواد الديالمة على الجانب الايمن بينما يقف القواد الاتراك على الجانب الايسر . وكان لابي علي ـ المشار اليه في اعلاه ـ عارضاه الخاصان ومساعداه ، وتوضع امامه السجلات . فكانوا يقرأون في هذه السجلات ، فيبطلون استحقاقات الديالمة الذين جمعوا عددا من الاقطاعات زائدة عن الحد ويعطونهم بدلا منها علاوات متواضعة . فتمكن عن هذا الطريق اكتشاف الدخلاء واخراجهم ، ثم طرد الجنود غير النافعين عسكريا . وقد دخل بعض هؤلاء الجنود المطرودين في خدمة الامير الصفاري طاهر بن خلف الذي كان يسعى للاستيلاء على السلطة في كرمان(١١٦) . وكثيرا ما لجأ الامراء الذين كانوا في حيرة من امرهم في كيفية دفع ارزاق جنودهم ، او الذين كانوا يرغبون بتقليل نفوذ قوادهم بتجريدهم من اقطاعاتهم الى عرض كهذا للسجلات والارزاق . ومع هذا فانه من الضروري ان يكون الامير في مركز قوي ، فالمحاولة التي قام بها عز الدولة سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧ التي اراد من ورائها تقليل عدد الجنود المسجلين في السجلات لم يكن لها اي فائدة من الناحية العملية (انظر في اعلاه صحيفة ٢٢ ـ ٢٣) .

لم يكن نظام دفع ارزاق الجنود عن طريق الاقطاع فقط نظاما شاملا وجامعا لجميع الفترة البويهية ، مع العلم بانه اخذ يصبح اكثر شيوعا في الوقت الذي كان فيه الامراء غير

---

(١٠٩) الوزراء ص ١٧ ـ ١٨ .

(١١٠) انظر Hoenerbach, Zur Heeresverwaltung der 'Abbasiden, p. 269 ff.

(١١١) انظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٦٤ ـ ٦٥ . (يعرف الخوارزمي الوضع فيقول انه « ان يحلق على اسمه فيوضع عن الجريدة » و « الاسقاط الذي يموت او يستغنى عنه فيرضع عن الجريدة » انظر مفاتيح : المقدمة المترجمة ص ٤٢ ـ ٤٣ المترجم)

(١١٢) مسكويه ج ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، الترجمة الانجليزية ج ٤ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، ابن الاثير ج ٨ ص ٢٤٦ .

(١١٣) نشوار المحاضرة ص ٨٨ ـ ٨٩ ، الترجمة الانجليزية ص ٩٥ ـ ٩٦ (اسم الرجل ابن جان بخش ، وانه قد ورث مالا جليلا ... وبعد ان دخل الديلم الاهواز عاشرهم هذا وانفق اكثر ماله عليهم ، فتعلم الكلام بالديلمية ... وعرف اسماء قراهم وعلامات بلدانهم .. فلما خف ماله ، اشترى بغلين ، ودابتين ، وزوبينات وسلاحا وآلة الجند وجعل لرأسه شعرا مثل شعور الجيل والديلم ، وسمى نفسه جلوز بن باعلي .. وهذا الاسم من اسماء الجيل . قال : كنت اداخلهم ، اي الديلم ، وادعوهم ولا يشكون ، واعطيهم علامات بلدانهم فاذا ما وقع من بلغني بي اعطيته شطر الرزق . وكنت اكل النوم ولا العالج للصنان ، واصبر جيفة على ملاعب الديلم ... الخ المترجم) .

(١١٤) مسكويه ج ٢ ص ٢٢٦ ، الترجمة الانجليزية ج ٥ ص ٢٥١ (يقول مسكويه « ان بسنك ـ عز الدولة ـ فيهم سبيل ابيه في الاستحجاب والتقويد والتنقيب والزيادة في المنازل والمراتب » المترجم) .

(١١٥) مفاتيح العلوم ص ٦٢ : يعرف الخوارزمي التسييب بأن يسبب رزق رجل على مال متعلر ليعيد المسيب له العامل على استخراجه فيجعل وردا للعامل واخراجا الى المرتزق بالقلم .. المترجم) .

(١١٦) هلال في التجارب ج ٣ ص ٣٦٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٤١١ ـ ٤١٢ ، ابن الاثير ج ٩ ص ١١٨ ـ ١١٩ ، امدروز مقالة « ثلاث سنوات من حكم البويهيين في بغداد من سنة ٣٨٩ ـ ٣٩٣ هـ » (بالانجليزية) ص ٥٢٢ .

المتمولين مرغمين على اعطاء ضياع كثيرة كاقطاعات . بينما ظل قسم لا باس به من الجنود مستمرين في استلام رواتبهم نقدا وعلى شكل دفعات في اوقات معينة من السنة . وقد دعا الخوارزمي هذا النظام بنظام المرتزقة (١١٧) (اي الجنود الذين يدفع اليهم بانتظام) . فيقول ان هذه الدفعات تدعى في ديوان العراق (اي خلال الفترة البويهية) بالرزقات ومفردها رزقة . ثم يستمر الخوارزمي فيضيف ان السامانيين ــ اذ كان الخوارزمي يكتب في مناطق نفوذهم ــ كانوا يوزعون هذه الدفعات ثلاث مرات في السنة ، اي كل ١٢٠ يوما . اما الفترة المبكرة من الخلافة العباسية فكان هناك تفاوت واسع في فترة الدفع . فبناء على قول هلال الصابي في كتابه الوزراء(١١٨) ان غلمان الموفق(١١٩) الاحرار الذين كانوا يسمون بالناصرية (التسمية ماخوذة من لقب الموفق الناصر لدين الله) ، كان يدفع لهم في الاصل كل ٤٠ يوما ، غير ان هذه الفترة زيدت في اول الامر عشرة ايام (اي اصبحت كل ٥٠ يوما) ثم عشرة ايام اخرى (اي اصبحت كل ٦٠ يوما) في ايام المعتضد . وكان يدفع للجنود الحجرية زمن القاهر (الذي امتدت خلافته من سنة ٣٢٠ ــ ٣٢٢هـ/ ٩٣٢ ــ ٩٣٤) كل ٥٠ يوما ، بينما كان يدفع للجنود الساجية (وهم جنود ابي الساج ديوداد(١٢٠)) على نفس الاسس التي كان يدفع بها للغلمان وهي مرة واحدة كل ٦٠ يوما فقط(١٢١) . وعلى اية حال فان كلا من هلال وقدامة يقولان بانه من المحتمل ان الفرسان الاحرار الموجودين في الجيش كان يدفع اليهم مرتين او ثلاث مرات فقط في السنة ، لانهم كانوا يضمون جنودا ماهرين واخرين ادنى في خبراتهم التدريبية(١٢٢) . ولم يكن اجراء البويهيين فيما يتعلق الامر بهذا الصدد واضحا ، غير ان الصعوبات المالية المزمنة التي صاحبت عددا من الامراء البويهيين واضطرابات جنودهم وتمردانهم المتكررة تظهر ان دفع الارزاق كان غير منتظم في الغالب وكان يدفع متاخرا عن ميعاده(١٢٣) .

يؤكد امتداح هلال الصابي لعضد الدولة بسبب انتظام دفعه ارزاق جنده ومحافظته على المواعيد الانطباع بان هذا الاجراء لم يكن قاعدة . وقد اشتغل عدد متزايد من الموظفين كالكتاب والمساعدين في ديوان العارض لغرض التعجيل في عمل

(١١٧) مفاتيح العلوم ص ٦٥ .

(١١٨) الوزراء ص ١٦ .

(١١٩) ابو احمد طلحة المعتضد بالله والناصر كان اقوى من اخيه الخليفة المعتمد على الله واكثر كفاية اذ استطاع بفضل حزمه وحنكته في السياسة ان يجمع الامور جميعها بيده فلم يبق لاخيه المعتمد الا اسم الخلافة . وهو الذي ضرب على ايدي القواد الاتراك وكبح من تسلطهم ونفوذهم ، كما انه افلح في القضاء على بعض الحركات والثورات التي هددت كيان الدولة العباسية . توفي سنة ٢٧٨ هـ وولى ابنه المعتضد بالله الخلافة من بعده « المترجم » .

(١٢٠) يوسف بن ديوداذ « المترجم » .

(١٢١) مسكويه ج ١ ص ٢٦١ ، الترجمة الانجليزية ج) ص٢٩٦

(١٢٢) انظر Hoenerbach, Zur Heeresverwaltung der 'Abbasiden, 279—82.

(١٢٣) انظر امدروز ، مقالة « ثلاث سنوات » ص ٧٧٤ ــ ٧٧٥

دفع الارزاق(١٢٤) . فاستلم غلمان قصره ــ وهم نواة قواته ــ منحا شهرية (مشاهرات) . وكان الاجراء المتبع في دفع الارزاق ان يستلم الجنود تخويلات مالية من ديوان الجيش(١٢٥) (صكك ومفردها صك) ، اذ يكون الدفع على هذه السفاتج المالية في فصوله المقررة . كان الامير اعتياديا يصدر تخويلات مالية عامة الى الخازن لصرف الاموال الى العارض من اجل دفع الصكوك قبل ثلاثة ايام من نهاية كل شهر . وفي احدى المناسبات نسي الموظف ان يسلم المشاهرات الا بعد مضي اربعة ايام اخرى ، لذلك لم يتسلم الغلمان ارزاقهم الا بعد يوم من بداية الشهر . وقد نظر عضد الدولة الى هذا الاهمال بشكل جدي فوبخ الموظف بالعبارات التالية :ــ

« المصيبة بما لا تعلم ما في فعلك من الغلط اكثر منها فيما استعملته من التفريط . الا تعلم انا اذا اطلقنا لهؤلاء الغلمان مالهم وقد بقي في الشهر يوم كان الفضل لنا عليهم . واذا انقضى الشهر . واستهل الاخر حضروا عند عارضهم فاذكروه ، فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثاني فيعتذر اليهم ، ثم في الثالث فتبسط في اقتضائه ومطالبته السنتهم ، فتضيع المنة ، وتحصل الجراة ، ونكون في الخسارة اقرب منا الى الربح(١٢٦) .... »

حقا ان جميع المؤسسات الحكومية خلال حكم عضد الدولة ارتقت من حيث كفايتها الى اوجها . فقد كان لعضد الدولة شبكة كثيرة من عمال البريد والجواسيس (النوبيين)(١٢٧) وينتظم هؤلاء من خلال ديوان البريد(١٢٨) . كما انه جرب فنونا عسكرية جديدة ، فاعاد ادخال استعمال الفيلة الحربية الى ايران التي لم تكن معروفة منذ الفتوحات العربية ، مع العلم بانه لم يرد ذكر على ان الفيلة لعبت دورا فيما في القتال(١٢٩).

(١٢٤) مسكويه ج٢ ص ٤٣ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٤ .

(١٢٥) انظر مفاتيح العلوم ص ٥٦ (اذ يعرف الخوارزمي الصك بانه « عمل يعمل لكل طمع بجمع فيه اسامي المستحقين ومدلهم ومبلغ مالهم ويوقع السلطان في اخره باطلاق الرزق لهم » المترجم) كذلك انظر Hoenerbach, Heeresverwaltung, p. 281.

(١٢٦) تجارب ج ٢ ص ٤٥ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٤٢ ــ ٤٣ .

(١٢٧) الكلمة عند مسكويه « النوب » والنوبة « والمقصود بها الذين يحملون البريد . « المترجم » .

(١٢٨) هلال في التجارب ج ٢ ص ٤٠ ــ ٤١ ، ٥٩ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٢٧ ــ ٢٨ ، ٥٩ « هذه الاشارات ينبغي ان تكون لابي شجاع الروذراوري . المترجم » انظر ادم متز : الحضارة (بالالمانية) ص ٢٥ .

(١٢٩) مسكويه ج ٢ ص ٢٦٨ ، الترجمة ج ٥ ص ٢٠٢ حيث استخدمت فيول مقاتلة ضد عز الدولة . انظر مقالة بوزورث « فيل . كحيوانات حربية » المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة جديدة ، ولقد اشار التنوخي الى وجود الفيلة عند البويهيين قبل ذلك التاريخ لبضع سنوات ، اذ قال انه راى في سنة ٣٣٩/ ٩٥٠ ــ ٩٥١ فيلا صغيرا في البصرة قد ارسل من قبل محمد بن يوسف بن وجيه ، حاكم عمان ، الى معز الدولة . انظر مرغليوث : نشوار المحاضرة ، المنشور في مجلة الثقافة الاسلامية Islamic Culture ج ٤ (١٩٣٠) ص ٢٨٥ .

وهناك مرفقات اخرى تتعلق بارزاق الجند تتضمن مبالغ اضافية تؤخذ كرها من قبل الجنود في حالة مجيء امير جديد للعرش ، يسمى مال الضيعة(١٣٠) . ويقابل مال البيعة هذا ال chlôs akcesi (اكتي جلوس) التي دفعها السلاطين العثمانيون الى جنودهم الانكشارية . ومن الملاحظ انه كلما كان هناك تنازع على السلطة فان ولاء الجيش يكون الى الجانب الذي يعرض ثمنا عاليا . ففي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٤ على اثر موت جلال الدولة ببغداد فان ابنه الملك العزيز ابا منصور لم يكن باستطاعته دفع مال البيعة الضروري بسرعة ، مما ادى الى تدخل ابن عمه عماد الدين ابي كاليجار صاحب فارس والاهواز واستحواذه على ولاء جنود بويهيي العراق(١٣١). ولم يشفع للامراء في تجنبهم دفع مثل هذه الدفعات الاضافية الا حالة كونهم اقوياء ، ويمتلكون خمانا ماليا قويا ، فلقد ورد ان عضد الدولة امتنع عن اعطاء اية ارزاق اضافية زيادة على الرواتب الاساسية (زيادات في الاصول) الا في المناسبات المذكورة كمناسبة الانتصارات في الحروب ، او عندما تقتضيه سياسة الرضاة والمداراة بصورة خاصة(١٣٢) .

واخيرا فان البويهيين كانوا يدفعون مكافآت عينيه اضافة الى ربع الاقطاعات والرزقات النظامية . ولما كانت الاسعار عموما آخذة بالارتفاع فان القيمة النقدية لهذه المكافآت اصبحت متزايدة بالنسبة للخزينة . لذلك اجرى ابو علي الموفق ، وزير بهاء الدولة ، سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦ تغيرا لنظام اعطاء جرايات يومية الى الجنود الاتراك في بغداد . اذ كان الجنود يحصلون على منح نقدية يشترون بواسطتها جراياتهم من الاطعمة . وكانت هذه المنح تدفع اليهم اسبوعيا (صارت فيما بعد شهريا) وتعتبر جزءا من ارزاقهم . وقد شمل هذا الاجراء الديالمة بمدئذ ، فنتج بسبب ذلك توفير قليل الاهمية بالنسبة للخزينة(١٣٣).

---

(١٣٠) ويسمى احيانا بـ « حق البيعة » انظر ابن الاثير حوادث سنة ٤٣٥ هـ « المترجم » .

(١٣١) ابن الاثير ج ٩ ص ٣٥٣ . انظر ايضا بوين Bowen مقالة « البويهيون المتأخرون » (انجليزية) ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(١٣٢) هلال الصابي في التجارب ج ٣ ص ٤٣ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٤٠ (الرواية لابي شجاع الروذراوري يقول الروذراوري « والزيادات في الاصول محظورة على العموم الا عند الفتوح وما تدعو السياسة اليه من استمالة القلوب » . المترجم) .

(١٣٣) هلال في التجارب ج ٣ ص ٢٨٣ ، الترجمة الانجليزية ج ٦ ص ٣٠١ « الرواية لابي شجاع الروذراوري . المترجم » .

قائمة بالمصادر التي يتكرر ذكرها

١ ـ H.F. Amedroz: "Three Years of Buwaihid Rule in Baghdad A.H. 389—393".

« ثلاث سنوات من حكم البويهيين في بغداد من سنة ٣٨٩ ـ ٣٩٣ هـ » وهو قطعة صغيرة من تاريخ هلال الصابي (ت ٤٤٨هـ) منتزع من مخطوط في مكتبة المتحف البريطاني رقم Add. 19, 360 ، نشرت في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية JRAS (١٩٢١) ص ٨٢٢ ـ ٨٤٢ .

٢ ـ حدود العالم ، لمؤلف مجهول ، ترجمة Minorsky ليدن ١٩٣٧ .

٣ ـ مجمل التواريخ والقصص ، تحقيق ام . اس . بهار ، طهران ١٣١٨/١٩٣٩ .

٤ ـ البيروني : الاثار الباقية ، تحقيق اي. سخاو ، ليبزج ١٨٧٨ .

٥ ـ C.E. Bosworth: "Ghaznevid Military Organisation".

« التنظيم العسكري عند الغزنويين » نشره في مجلة الاسلام Der Islam مجلد ٣٦ (١٩٦٠) ص٣٧—٧٧ .

٦ ـ C. E. Bosworth: "The Imperial Policy of the Ghaznavids".

« السياسة الامبراطورية للغزنويين » نشره في مجلة المعهد المركزي للبحوث الاسلامية مجلد ١ ، ٣ ، ص ٤١ ـ ٨٢

Journal of the Central Institute of Islamic Research. (Karachi, 1962).

٧ ـ H. Bowen: "The Last Buwayhids".

« البويهيون المتأخرون » نشرت في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية JRAS (١٩٢٩) ص ٢٢٥ ـ ٢٤٥ .

٨ ـ CL. Cahen: "L'evolution de L'Iqta' du IX au XIII siécle".

« تطور الاقطاع من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر الميلادي » . ص ٢٥ ـ ٥٢ نشرت في مجلة

contribution à une histoire comparé des sociétés medievales Annales: Economies, Sociétés, Civilisations. (Vol. 8, 1953).

٩ ـ هلال الصابي : قطعة من تاريخه (في ذيل ابي شجاع الروذراوري) في تجارب الامم ، تحقيق وترجمة امدروز ودي. اس. مرغليوث (اكسفورد ١٩٢١ ـ ١٩٢٢) اجزاء ٣ ، ٦ .

١٠ـ هلال الصابي : الوزراء : تحقيق عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

١١ـ هلال الصابي : رسوم دار الخلافة . تحقيق ، ميخائيل عواد ، بغداد ١٣٨٣/١٩٦٤ .

١٢ـ W. Hoenerbach: Zur Heeresvwaltung der 'Abbasiden. Studie über Abulfarag Qudama: Diwan al-gais.

« ادارة الجيش عند العباسيين ، دراسة من ابي الفرج قدامة في موضوع ديوان الجيش » نشرت في مجلة الاسلام مجلد رقم (٢٩ ، ١٩٥٠) ص ٢٥٧ ـ ٢٩٠ .

١٣ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ . تحقيق تورنبرج ، ليدن ١٨٥١ ـ ١٨٧٦ .

١٤ـ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم . حيدر اباد ، ١٢٥٧ ـ ١٣٥٩/١٩٣٨ ـ ١٩٤١ .

١٥ـ المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . تحقيق دي غويه ، BGA ، ليدن ١٩٠٦ .

١٦ـ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق وترجمة Pavet de Courteille , Barbier de Meynard (باريس ١٨٦١ ـ ١٨٧٧)

١٧ـ Mez: The renaissance of Islam. حضارة الاسلام (ترجمة انجليزية) Patna ١٩٣٧ .

١٨ـ V. Minorsky: "La domination des Dailamites" « النفوذ الديلمي » باريس ١٩٣٢ . اعيد طبعه مع تنقيح في مجلة ايرانيكا Iranica تحت عنوان (بست مقالتي مينورسكي) اي المقالات العشرون لمينورسكي (لندن ـ طهران ١٩٦٥) .

١٩ـ مسكويه : تجارب الامم وتعاقب الهمم
"The Eclipse of the Abbasid Caliphate"
في اجزاء ، ١ ـ ٢ والترجمة ٤ ـ ٥ .

٢٠ـ نظام الملك : سياسة نامه . ترجمة H. Darke تحت عنوان
The Book of Government or Rules for Kings, London, 1960.

٢١ـ B. Spuler: Iran in früh-Islamischer Zeit". « ايران في العصور الاسلامية الاولى » وايزبادن ١٩٥٢ .

٢٢ـ التنوخي : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة . تحقيق وترجمة مرغليوث بعنوان
The Table-Talk of a Mesopotamian Judge.
لندن ، ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ .

٢٣ـ الخوارزمي : مفاتيح العلوم . تحقيق فان فلوتن ، ليدن ١٨٩٥ .